T.C.
FIRAT ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANA BİLİM DALI
TEFSİR BİLİM DALI

MUHAMMED RATİB EN-NABLUSİ VE İLMİ TEFSİR

YÜKSEK LİSANS TEZI

DANIŞMAN
Prof. Dr. Ğiyasettin ARSLAN

HAZIRLAYAN
Mohammad Shawkat SULAIMAN

ELAZIĞ - 2020

الجمهورية التركية
جامعة فرات
معهد العلوم الإجتماعية
قسم العلوم الإسلامية
قسم التفسير

التفسير العلمي في تفسير محمد راتب النابلسي

رسالة الماجستير

إعداد
محمد شوكت سليمان

المشرف
البروفيسور الدكتور غياث الدين أرسلان

الازيغ ـ ٢٠٢٠

ÖZET

YÜKSEK LİSANS TEZİ
MUHAMMED RATİB EN-NABLUSİ TEFSİRİNDE İLMİ TEFSİR
MOHAMMAD SHAWKAT SULAIMAN
FIRAT ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ
TEFSİR ANABILIM DALI
ELAZIĞ, 2020 Sayfa X+139

Bu çalışma Nablusî tefsiri bağlamında Kur'ân ayetlerinin ilmi tefsirini ele almaktadır. Bu çalışmada farklı âlimlerin ilmi tefsir tanımları, bu tefsir çeşidinin ortaya çıkış serüveni ve âlimlerin ona dair ortaya koydukları kurallar işlenmektedir.

İlmi tefsir meselesi çok tartışmalı, geçmişte ve günümüzde birçok alim tarafından hakkında farklı görüşlerin ortaya konduğu bir mevzudur. İşte bu çalışma bu farklı görüşleri kısaca ele almaktadır. Bu tür tefsiri destekleyenlerin ve ona karşı çıkanların görüşlerini her iki tarafın delilleriyle beraber ortaya koymakta ve yazarın tercihini ifade etmektedir.

Diğer taraftan bu çalışma Muhammed Ratib en-Nablusî'nin hayatı, yetiştiği ortam, ilim ve tebliğ çalışmaları, tebliğdeki metodu ve çağdaş bir müfessir olarak Kur'ân-ı tefsir etme yöntemini ele almaktadır. Ayrıca onun, Kur'ân ayetlerini kendinden önceki müfessirlerin hiç değinmediği bir üslupla tefsir etmeye nasıl güç yetirdiğine de değinilecektir. Kur'ân-ı Kerim'i ilmi bir şekilde tefsir eden müfessirlerden farklı yönleri de anlatılacaktır. Aynı şekilde bu çalışmada onun tefsirinin kaynakları, ilkeleri, ayırt edici yönleri ve genel yöntemi hakkında da bilgiler verilecektir.

Bu çalışma en-Nablusî'nin ilmi meseleler ile alakalı ayetleri ve Kur'ân'daki i'câzı nasıl tefsir ettiğine dair misaller de içermektedir. Ayrıca müfessirin insan, canlılar, yeryüzü, gökyüzü, dağlar, denizler ve nehirlerle ilgili ayetler ile yaratışın görünen yüzü ve hakikatiyle alakalı ayetleri de nasıl tefsir ettiğine dair örneklere de değinilecektir.

Anahtar Kelimeler: İlmî tefsir, Ratib en-Nablusî, ilmî i'câz, delâle

ملخص

رسالة الماجستير

التفسير العلمي في تفسير محمد راتب النابلسي

محمد شوكت سليمان

جامعة فرات

معهد العلوم الإجتماعية

قسم العلوم الإسلامية

قسم التفسير

الازيغ ٢٠٢٠ ص: X+139

يتناول هذا البحث موضوع التفسير العلمي للآيات القرآنية من خلال تفسير النابلسي؛ ففيه تعريفات مختلفة للعلماء بشأن التفسير العلمي، وفيه تاريخ ظهور هذا اللون من التفسير، وضوابط قبوله لدى العلماء.

وموضوع التفسير العلمي من المواضيع التي دار حوله مناقشات كثيرة، وآراء مختلفة من العلماء والمفسّرين، قديماً وحديثاً؛ لذا فيتناول البحث هذا الاختلاف بالإيجاز، ويبيّن آراء المؤيدين والمعارضين لهذا النوع من التفسير، مع أدلة كلا الفريقين، والترجيح بينهما.

ومن جانب آخر يحتوي هذا البحث على السيرة الذاتية للدكتور محمد راتب النابلسي (صاحب التفسير)، ونبذة عن حياته ونشاطاته، وجهوده العلمية والدعوية، ومنهجه في الدعوة، ومنهجه في تفسيره لكتاب الله تعالى كمفسّر عصري، وكيف

استطاع أن يفسّر الآيات القرآنية بالشكل الذي لم يتطرق اليه أغلب المفسّرين القدامى، ومدى تفاوته مع المفسّرين الذين فسّروا القرآن الكريم تفسيراً علمياً، وأيضاً يحتوي على تعريفٍ بهذا التفسير ومصادره، وبداياته، ومميزاته، ومنهجه العام.

كما يتناول هذا البحث نماذج من تفسير النابلسي للآيات المتعلقة بالمسائل العلمية، والإعجاز العلمي في القرآن الكريم؛ كالآيات المتعلقة بالإنسان والحيوان والأرض والسماء والجبال والبحار والأنهار، وكيف يفسّر الدكتور النابلسي الآيات التي تتعلق بالظوهر الكونية، والحقائق الكونية.

الكلمات المفتاحية: التفسير العلمي، راتب النابلسي، الإعجاز العلمي، الدلالات، التدبر، الآيات الكونية، الظواهر الكونية.

ABSTRACT

Master Thesis

Scientific Interpretation in the Tafsir of Mohammed Ratib Al-Nabulsi

Mohammad Shawkat Sulaiman

Firat University

Social Sciences Institute

Department of Islamic Sciences

Department of Tafsir

Elazığ-2020 Page: X+139

This study tackles the scientific interpretation of the Quranic verses through the interpretation of Al-Nabulsi. It contains different definitions of scholars regarding scientific interpretation, and it contains the history of the emergence of this type of interpretation, and the criteria for its acceptance by scholar The scientific interpretation has long been a subject of debate, and different opinions of scholars and interpretors in the past and present. Therefore, this study deals with this difference in brief, and manifests the opinions of supporters and opponents of this type of interpretation, with the evidence of both groups, and the weighting between them .

On the other hand, this research contains the biography of Dr. Mohammed Ratib Al-Nabulsi (the author of the interpretation), a summary of his life and activities, his scientific and Daawa (invitation to Islam) efforts, his approach to Dawah, and his approach to the interpretation of the Book of Allah as a modern interpreter, how he managed to explain the Quranic verses in a form that was not addressed

by the ancient interpreters, and how he differs from the those who interpreted the Holy Quran in a scientific way. It further contains a definition of this interpretation and its sources, beginnings, features, and general approach.

This study also examines examples of Dr. Mohammed Al-Nabulsi's interpretation of verses related to scientific issues, and the scientific miracle in the Holy Quran, such as the verses related to humans, animals, earth, sky, mountains, seas, and rivers, and how Dr. Al-Nabulsi interprets the verses that are related to cosmic phenomena and cosmic facts.

Key words: scientific interpretation, Ratib Al-Nabulsi, scientific miracle, indications, mediation, cosmic signs, cosmic phenomena**.**

المحتويات

ÖZET ..... **II**
ملخص ..... **IVVI**
ABSTRACT ..... **VIII**
لمحتويات ..... **VIII**
الرموز ..... **X**
المقدمة **١**

الفصل الأول

تمهيد في التعريف بمفردات العنوان

1.1. التفسير العلمي تعريفه وتاريخه وآراء العلماء حوله **13**
1.1.1. تعريف التفسير العلمي وتاريخه 13
2.1.1. آراء العلماء حول التفسير العلمي 18
3.1.1. ضوابط قبول التفسير العلمي 26
2.1. ترجمة محمد راتب النابلسي **28**
1.2.1. إسمه، ومولده، ونشأته، وأسرته 28
2.2.1. جهوده العلمية والدعوية 30
3.2.1. منهجه في الدعوة والإرشاد 33
3.1. تعريف بتفسير النابلسي **37**
1.3.1. بدايات التفسير 37
2.3.1. مصادر تفسير النابلسي 40
3.3.1. طبع ونشر تفسير النابلسي 41

الفصل الثاني

منهج النابلسي في التفسير العلمي

1.2. **المنهج العام في تفسير النابلسي ومميزات تفسيره** 42
1.1.2. المنهج العام في تفسير النابلسي 42

2.1.2. مميزات تفسير النابلسي والمآخذ عليه..... 45
2.2. **نماذج من تناول النابلسي للآيات الكونية** 50
1.2.2. نماذج من تفسيره للآيات التي تتحدث عن الأرض والسماء..... 50
2.2.2. نماذج من تفسيره للآيات التي تتحدث عن البحار والأنهار..... 59
3.2.2. نماذج من تفسيره للآيات التي تتحدث عن الظواهر الكونية..... 68
4.2.2. نماذج من تفسيره للآيات التي تتحدث عن حقائق كونية..... 76
3.2. **نماذج من تناول النابلسي لآيات تتعلق بالإنسان والحيوان**..... 82
1.3.2. نماذج من تفسيره للآيات التي تتحدث عن الإنسان..... 82
2.3.2. نماذج من تفسيره للآيات التي تتحدث عن الحيوانات..... 94
الخاتمة وذكر أهم التوصيات..... 124
المراجع والمصادر..... 128
السيرة الذاتية..... 139

الرموز

الرمز	الدلالة
﴿ ﴾	رموز الآيات القرآنية
(( ))	رموز الأحاديث النبوية
م	السنة الميلادية
هـ	السنة الهجرية
ط	الطبعة
د.ط	دون طبع
د.ت	دون تاريخ الطبع
ت	تاريخ الوفاة
ص	الصفحة

المقدمة

الحمد لله الذي هدى بكتابه القلوب، وأنزله في أوجز لفظ وأعجز أسلوب، فأعجزت فصاحته الفصحاء، وأعيت بلاغته البلغاء، وأذهلت روعته الخطباء، وأسكتت حكمته الحكماء، فالقرآن هو الحُجّة البالغة، والدلالة الدامغة، والعصمة الواقية، والنعمة الباقية، وهو النور المبين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيّدنا وحبيبنا محمداً عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلّم وزد وبارك وأنعم على النبي الكريم، وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان الى يوم الدين.

أما بعد؛ العلوم كثيرة، كعلوم اللغة والبلاغة والأصول والفقه والتاريخ والطب والهندسة والفيزياء والكيمياء، وغيرهم من العلوم، فالعلوم وإن تباينت أصولها، واختلفت أحوالها، وتنوعت أبوابها؛ فلا يمكن لأحد أن يقلّل من قدرها، ولكن أعلاها قدراً، وأسماها معناً، وأعظمها مبناً، وأقومها قيلاً، وأصحها دليلاً، وأوضحها سبيلاً؛ هو علم التفسير، فلا يوجد علم أشرف وأكرم وأعزّ من علم التفسير، لأنه مربوط بكلام ربّ العالمين، وشرف العلم بشرف موضوعه.

والحكمة من إنزال القرآن الكريم أن يعي الناس مراد الله تعالى، ويفهمون مقصوده، لكي ينفّذوا أوامره، ويجتنّبوا نواهيه، وهذا لا يمكن أن يحصل إلا عن طريق فهم معاني الآيات القرآنية، وهذه هي وظيفة علم التفسير؛ فالتفسير يبيّن مراد الله –

جلّ جلاله– من كلامه الذي أنزله على قلب النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–.

قد شرّفني الله تعالى بأن أدرس مرحلة الماجستير في قسم التفسير، وأحببت أن يكون موضوع رسالتي في التفسير العلمي، وبما أن هذا الموضوع له ارتباط رئيسي بالتطور العلمي، والاكتشافات الجديدة؛ لذا فكان لابدّ أن أختار تفسيراً معاصراً، ومن المعاصرين ما وجدت مفسّراً ومؤلفاً، كتب في التفسير العلمي للقرآن الكريم وأبدع فيه، مثل الدكتور محمد راتب النابلسي، فالذي يقرأ تفسيره يعرف أن هذا الرجل متمكن في هذا اللون من التفسير، لكثرة كلامه في المواضيع العلمية، وكثرة تفاصيله في تفسير الآيات التي تتحدث عن المسائل العلمية، كتفسيره للآيات الكونية، مثل الآيات التي تتحدث عن الأرض والسماء والنجوم، والبحار والأنهار، والآيات التي تتحدث عن خلق الإنسان، وعن الإعجاز العلمي في خلق الحيوانات، وغير ذلك من المواضيع العلمية.

والتفسير العلمي للقرآن الكريم له أهمية خاصة، وتحديداً في هذه الأيام التي كثر الكلام حول التطور العلمي، والاكتشافات العلمية الجديدة، وكثر المؤسسات العالمية التي تهتم بالبحوثات والدراسات العلمية، ومن ناحية أخرى كثر المتكلمون في المسائل العلمية في القرآن والسنة؛ قد نجد شخصاً ليس له دراية بعلم التفسير، ولا بضوابط قبول التفسير العلمي عند العلماء، ولا يعرف شيئاً عن العلوم التي يتكلم فيه، ومع كل هذا نجده يخوض يميناً وشمالاً في المسائل العلمية ويربطها بالآيات

القرآنية والأحاديث النبوية، وكل هذا تحت مسمى (الإعجاز العلمي أو التفسير العلمي في القرآن والسنة)، وهنا تحدث الكارثة، لأن المتكلم محسوب على الإسلام والمسلمين، مع أنه يسيء الى القرآن والتفسير، لأنه أحياناً يربط آية من القرآن بنظرية علمية، وبعد فترة يظهر للعالم عكس هذه النظرية تماماً، فهذا الرجل أمامه خيارين لا ثالث لهما؛ إما أن يكذّب هذه النظرية، فهنا يواجه العلم الحديث الذي ليس عنده شيء منها، وإما أن يكذّب الآية القرآنية –والعياذ بالله– وبهذا يخرج من دائرة الإسلام باتفاق المسلمين سلفاً وخلفاً.

ومن ناحية أخرى أحياناً نجد أناساً يتكلمون عن تناقضات بين النظريات العلمية والآيات القرآنية؛ وهذا لا يمكن أن يحصل أبداً، لأن الدين من عند الله، والعلم من قوانين الله، والإله واحد، وهذا خلقه، وهذا شرعه، فمن المستحيل أن نجد تناقضاً بين القرآن الكريم والحقائق العلمية، ومن عظمة القرآن أنه لم توجد حقيقة علمية تتناقض مع آية من القرآن، منذ أن أُنزل هذا القرآن على النبي –صلى الله عليه وسلم– حتى الآن، فمن كان سيظن أن الإنسان يصعد الى الفضاء؟ ومن كان يعلم بأن صعود الفضاء يسبب قلة في الضغط الجوي؟ ويسبب ضيقاً في التنفس؟ فالله سبحانه وتعالى ذكر كل ذلك في القرآن الكريم، قبل أن يغزو الإنسان الفضاء.

وإذا كان هناك تناقض –فرضاً–، فلا يخلو الأمر من نقطتين؛ إما بين نظرية لم تتحقق بعد ولم تثبت صحتها، أمام حقيقة في القرآن الكريم، وإما بين خرافة في

الدين أمام حقيقة في العلم، في هذين الموضعين يمكن أن نجد تناقضات، ولكن إذا كان الكلام عن تناقض بين حقائق قرآنية وحقائق علمية؛ فهذا من المستحيل.

لهذه الأسباب وغيرها، يجب الإهتمام بهذا اللون من التفسير، وأن يظهر العلماء الفضلاء الذين يجيدون الكلام في هذا المجال، ويجب أن لا يتكلم فيه إلا من وجد فيه الشروط والضوابط التي حدّدها أهل الإختصاص من العلماء.

هذا وأسأل الله –جل وعلا– أن يوفقني في كتابتي لهذه الرسالة، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وأن ينفعني بها في الدنيا والآخرة، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أهمية البحث:

١. إن موضوع تفسير الآيات القرآنية تفسيراً علمياً، له أهمية خاصة، لأن التفسير بهذا اللون يحتاجها الناس في هذه الأيام، لكثرة الإستكشافات والإبداعات والنظريات العلمية.

٢. هناك أناس يتكلمون في المسائل العلمية، والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ويطبقون الآيات القرآنية على استكشافات ونظريات علمية، كأن هذه الآية نزلت لهذه الحادثة، وبعد فترة من الزمن يرجع صاحب النظرية عن قوله، ويظهر أن العكس هو الصحيح، وهنا يقع هذا الشخص في خطأ فادح، لأنه قد يتسبب في تكذيب الآيات القرآنية عند كثير من الناس، وهنا نرى أهمية وجود أشخاص ثقات، لكي يبحثوا ويتكلموا عن هذه المسائل، ويفسّرون القرآن الكريم وفق منهج صحيح.

٣. البحوثات العلمية في هذه المواضيع يظهر حقيقة الذين يتكلمون في المسائل العلمية بدون علم، فمثلاً؛ قد يكذب شخص لكي يثبت صحة كلامه عن مسئلة علمية، أو لكي يشتهر عند الناس بأنه عالم ومتخصص في الإعجاز العلمي، والأدهى من ذلك قد يكذب على الله تعالى وعلى رسوله –صلى الله عليه وسلم–، كالذي يقول بأن النبي –صلى الله عليه وسلم– هو المكتشف الأول لطبقة الأوزون، ويأتي بحديث موضوع وينسبه زوراً الى صحيح مسلم،

بأن النبي وبعد رجوعه من رحلة المعراج قال: مَشينا قُربَ بحرٍ من الهواء الأخضر، فسألت ما هذا يا جبريل؟ فقال: لولا هذا البحر من الهواء؛ لاحترقت الأرض بمن فيها[1].

فمثل هذا الرجل قد يغتر به العوام، ويسمعون كلامه، ويعجبون به، وبعد أن يظهر الحقيقة العلمية يصدمون ويقعون بين تكذيب الرجل أو تكذيب الحديث النبوي، ومن جانب آخر قد يستفيد الحاقدين على الإسلام والقرآن، من مثل هذا الكلام، لكي يجعلونه دليلاً على تكذيب القرآن والسنة.

[1] هذا الكلام ذكره علي منصور كيالي، في أكثر من محاضرة وبرامج في القنوات التلفزيونية، مع أن هذا الكلام المنسوب زوراً الى النبي –صلى الله عليه وسلم– لا يوجد في صحيح مسلم، ولا في أي كتاب إسلامي على الإطلاق، وهذا الرجل هو مهندس معماري سوري، ولكن يتكلم كثيراً في المسائل العلمية في القرآن والسنة، ويعتبر نفسه من المبدعين في هذا المجال، ولكنه دائماً يقع في مثل هذه المواقف التي يسيء الى النبي –صلى الله عليه وسلم– والى العلم الحديث.

سبب إختيار الموضوع:

١. عدم وجود بحث علمي حول هذا الموضوع.

٢. إبراز دور محمد راتب النابلسي كمفسّر عصري، يفسّر القرآن الكريم تفسيراً علمياً.

٣. كلّما تطور الإنسان وتطور العلم الحديث؛ نحتاج الى رؤية جديدة وحديثة ومعاصرة لبعض الآيات القرآنية التي تتحدث عن مسائل علمية، ولكن بشروط وضوابط يحددها العلماء المختصين.

٤. في زماننا كثر الكلام في المسائل العلمية، وكثر المتكلمون في هذه المواضيع، وأكثرهم يتكلمون بلا علم، فحريٌّ بنا أن نبحث عن أناس مختصصين في هذا المجال، كالدكتور محمد راتب النابلسي، ونبرز أعماله في هذا المجال، لكي يستفيد الناس منه.

٥. أعداء الإسلام من الملاحدة واللادينيين وغيرهم، أحياناً يهاجمون الإسلام والقرآن، ويتهمون المسلمين بأنهم لا يتكلمون شيئاً عن المسائل الإعجازية، إلا بعد أن يبدع شخص غير مسلم في مجال من مجالات العلمية، أو يكتشف نظرية علمية؛ والمسلمون يأتون بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية، التي تؤيد هذه النظرية التي اكتشفت حديثاً، لذا فمن الأفضل أن نتحدث عن هذه المسائل العلمية قبل ظهورها من قبل غيرنا.

منهج البحث:

١. أتحدث عن التفسير العلمي بشكل عام، ثم تفسير النابلسي بشكل خاص.

٢. قرأت تفسير النابلسي، وكتب أخرى للمؤلف، وبعض الكتب المتعلقة بموضوعنا، والتفاسير القريبة من تفسير النابلسي، كتفسير الرازي وطنطاوي جوهري والشعراوي.

٣. اعتمدت على كلام النابلسي مباشرة من تفسيره، وما نقلت كلامه من غيره.

٤. توثيق الآيات القرآنية بذكر اسم السورة، وترتيبها كما هي في المصحف، مع ذكر رقم الآية.

٥. عزوت الأحاديث النبوية الى المصادر الحديثية من الكتب الستة وغيرها، وأتيت بجميع الكتب الذي يذكر هذا الحديث، وعزوت الآثار، وأقوال العلماء الى مراجعها الأصلية.

٦. عندما أذكر آية وأريد تفسيرها، أتيت في البداية بتفسير الصحابة كابن عباس وابن مسعود وغيرهم، وإذا لم يوجد عند الصحابة؛ أتيت بتفسير التابعين كسعيد بن جبير ومقاتل، وعطية، ومجاهد وغيرهم، وإذا لم يوجد تفسير من الصحابة والتابعين؛ أتيت بتفسير العلماء الفضلاء؛ كالطبري، والقرطبي، وابن كثير، والبغوي.

٧. ثم بعد ذلك أذكر تفسير النابلسي لهذه الآية، مع تصرف في عباراته.

٨. اعتمدت على المصادر القديمة قدر الإمكان، ولأن موضوع التفسير العلمي حديث وعصري؛ لذا فاضطررت الى اللجوء الى المصادر العصرية التي تتحدث عن المسائل العلمية.

٩. عندما أذكر سنة طباعة كتاب، أو سنة وفاة عالم أو مفسّر، أعتمد على التقويم الهجري، قدر الإمكان.

صعوبات البحث:

واجهني بعض الصعوبات عند كتابتي لهذا البحث:

- عدم وجود مصادر كثيرة في المسائل العلمية.
- أكثر المصادر الموجودة التي تتحدث عن المسائل العلمية، هي باللغة الإنجليزية، وكان من الضروري أن أجد نسخة مترجمة الى اللغة العربية، أو أن أجد من يترجم لي ما أريده من الكتاب، وهذا شيء صعب للغاية.
- كان التعامل مع تفسير النابلسي صعب؛ لأنه تفسير عصري جديد، ولأن هذا التفسير أصله عبارة عن محاضرات ودروس.
- والتنقل بين العراق وتركيا، يعتبر أيضاً من المصاعب على الطلاب عموماً وعلينا خصوصاً، وبالأخص في فصل الشتاء كان هناك قطعاً للطرق بسبب سقوط الثلج.
- ومن المواقف الصعبة التي حصل معنا خلال دراستي للماجستير وأثناء مرحلة كتابتي لهذا البحث؛ هو الزلزال الذي ضرب مدينة إلازغ في تاريخ ٢٠٢٠/١/١٤ مما أدى الى وفاة نحو ٥٠ شخصاً وجرح أكثر من ١٠٠٠ شخص، وهذه الكارثة كانت صعبة علينا، لأننا كنا على تواصل دائم بهذه المدينة، وكنا نذهب إليها بالشهر الواحد أكثر من مرة، وفوق كل هذا كنا نعتبر مدينة إلازغ مدينتنا الثانية بعد أربيل، فمن خلال سنتين التي عشنا فيها، تعوّدنا عليها وعلى أجوائها وأهلها.

يحتوي هذا البحث على فصلين:

الفصل الأول: تمهيد في التعريف بمفردات العنوان، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التفسير العلمي تعريفه وتاريخه وآراء العلماء حوله، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف التفسير العلمي وتاريخه.

المطلب الثاني: آراء العلماء حول التفسير العلمي.

المطلب الثالث: ضوابط قبول التفسير العلمي.

المبحث الثاني: ترجمة محمد راتب النابلسي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسمه ومولده ونشأته وأسرته.

المطلب الثاني: جهوده العلمية.

المطلب الثالث: منهجه في الدعوة والإرشاد.

المبحث الثالث: تعريف بتفسير النابلسي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بدايات التفسير.

المطلب الثاني: مصادر تفسير النابلسي.

المطلب الثالث: طبع ونشر تفسير النابلسي.

الفصل الثاني: منهج النابلسي في التفسير العلمي، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المنهج العام في تفسير النابلسي ومميزات تفسيره، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المنهج العام في تفسير النابلسي.

المطلب الثاني: مميزات تفسير النابلسي.

المبحث الثاني: نماذج من تناول النابلسي للآيات الكونية، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: نماذج من تفسيره للآيات التي تتحدث عن الأرض والسماء.

المطلب الثاني: نماذج من تفسيره للآيات التي تتحدث عن البحار والأنهار.

المطلب الثالث: نماذج من تفسيره للآيات التي تتحدث عن الظواهر الكونية.

المطلب الرابع: نماذج من تفسيره للآيات التي تتحدث عن حقائق كونية.

المبحث الثالث: نماذج من تناول النابلسي لآيات تتعلق بالإنسان والحيوان، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نماذج من تفسيره للآيات التي تتحدث عن الإنسان.

المطلب الثاني: نماذج من تفسيره للآيات التي تتحدث عن الحيوانات.

الخاتمة: وذكر أهم التوصيات.

ثم ذكر المراجع والمصادر للبحث والفهرسة.

الفصل الأول

1. تمهيد في التعريف بمفردات العنوان

1.1. التفسير العلمي تعريفه وتاريخه وآراء العلماء حوله

1.1.1. تعريف التفسير العلمي وتاريخه

التفسير العلمي بهذا التعبير وهذا الإسم يعتبر مصطلحاً حديثاً، وهو مكوّن من كلمتين، أولاهما: التفسير، والثاني: العلمي.

التفسير لغةً: يدور حول معنى الإظهار والبيان وكشف المغطى[٢].

واختلف علماء اللغة في تحديد الأصل الإشتقاقي الذي اشتق منه لفظ التفسير؛ ففريق يرى بأن الجذر هو (الفسر)، وهو بمعنى كشف المغطى والإبانة، بينما ذهب الفريق الآخر الى أنه مقلوب الجذر عن (السفر)، فإذا ألقت المرأة الخمار عن وجهها فهي سافرة، ويقال سفرت المرأة سفوراً، ويقال: أسفر الصبح إذا أضاء[٣]. والتفسير سواء مشتقاً من (الفسر) أو (السفر)؛ فمعنى المادتين واحدة في النهاية،

---

[٢] الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد الهروي، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:١، ٢٠٠١م، ٢٨٣/١٢؛ ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي جمال الدين الأنصاري الرويفعي، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط:٣، ١٤١٤هـ، ٥٥/٥.

[٣] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط:١، ١٣٩٤هـ، ١٩٢/٤؛ الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: يوسف المرعشلي-جمال الذهبي-إبراهيم الكردي، دار المعرفة، بيروت، ط:١، ١٤١٠هـ، ١٤٧/٢ .

وهي البيان والكشف عن شيء مختبيء.

والتفسير اصطلاحاً: علمٌ يُعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد –صلى الله عليه وسلم–، وبيان معانيه، واستخراج حكمه وأحكامه، واستمداد ذلك من علم اللغة، والنحو، والتصريف، وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ[٤].

العلم لغة: نقيض الجهل، وهو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً، ومصدر مرادف للمعرفة، والإدراك، والجزم، والفهم[٥].

والعلم اصطلاحاً: يختلف باختلاف الذين يعرّفونه، تبعاً لمجال تخصصهم؛ فعند علماء الشريعة المراد به: علم ما أنزل الله على رسوله من البيانات والهدى، أو العلم بالله تعالى وبآياته وبأفعاله في عباده وخلقه، كما عرّفه أبو حامد الغزالي –رحمه الله–[٦].

والذي يعنينا في هذا المبحث الذي نحن بصدده؛ هو التعرف على مفهوم (التفسير العلمي) باعتباره مصطلحاً مركّباً من الكلمتين معاً.

وبعد أن بحثت طويلاً لكي أقف على تعريف شامل للتفسير العلمي؛ وجدت

---

[٤] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ١/١٠٤-١٠٥.

[٥] ابن منظور، **لسان العرب**، ١٢/٤١٧؛ أحمد مختار عبد الحميد، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، عالم الكتب، القاهرة، ط:١، ١٤٢٩هـ، ٢/١٥٤١.

[٦] الغزالي، أبو حامد زين الدين محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي الشافعي، **إحياء علوم الدين**، دار المنهاج، جدة، ط:١، ١٤٣٢هـ، ١/١٢٤.

تعريفات عديدة، وكل تعريف لها معنى تختلف عن التعريفات الأخرى بشكل من الأشكال، لذا أتيت بأبرز هذه التعريفات التي وقفت عليها، وهو كما يلي:

١. تعريف صلاح الخالدي: "تفسير الآيات تفسيراً علمياً وفق قواعد العلم الحديث وبيان المضامين العلمية للآيات وفق مقررات وتحليلات العلم الحديث"[٧].

٢. تعريف محمد الذهبي: "التفسير الذي يُحَكِّم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن، ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها"[٨].

٣. ويرى أمين الخولي أن التفسير العلمي: هو تفسير يذهب قائله إلى استخراج جملة العلوم القديمة والحديثة من القرآن ويرى في القرآن ميداناً يتّسع للعلم الفلسفي والانساني في الطب والتشريح والجراحة والفلك والنجوم والهيئة وخلايا الجسم وأصول الصناعات ومختلف المعادن، فيجعل القرآن مستوفيا بآياته لهذه الحيثيات، ويحكّم الاصطلاحات العلميّة في القرآن، ويجتهد في استخراج هذه العلوم[٩].

٤. ويقول خالد العك: "هذا النوع من التفسير يقوم أصلاً على شرح وإيضاح الاشارات القرآنية التي تشير إلى عظيم خلق الله تعالى وكبير تدبيره وتقديره،

---

[٧] الخالدي، صلاح عبد الفتاح الخالدي، **تعريف الدارسين بمناهج المفسرين**، دار القلم، دمشق، ط:٣، ١٤٢٩هـ، ص: ٥٦٦.

[٨] الذهبي، محمد حسين الذهبي، **التفسير والمفسرون**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط:٧، ١٤٢١هـ، ٣٤٩/٢.

[٩] الخولي، أمين، **مناهج تجديد**، دار المعرفة، بيروت، ط:١، ١٣٨١هـ، **ص**: ٢٨٧.

لتلك الآيات المنظورة في هذا الكون المعمور"[١٠].

ونلاحظ في التعريفات السابقة، أن إطلاق وصف (العِلمي) على هذا النوع من التفسير دون سواه من الأنواع الأخرى للتفسير؛ يُفهم منه أن أنواع التفسير الأخرى ليست علمية، كالتفسير اللعقدي والتفسير اللغوي والتفسير الفقهي، وهذا انحراف واضح للحقيقة ونقص للعلوم الأخرى، لذا فمن الأولى تقييده بالكوني أو التجريبي، فيقال: التفسير العلمي الكوني، أو التفسير العلمي التجريبي، وما إلى ذلك.

وأخيراً نستطيع أن نعرّف التفسير العلمي على ضوء ما سبق من التعريفات: هو استعمال الحقائق العلمية الثابتة والمستقرة في زيادة شرح وإيضاح معاني الآيات، وبيان الاشارات القرآنية التي تشير الى عظيم خلق الله تعالى، بأدلة تفيد القطع واليقين باتفاق المتخصصين، إثباتاً لصدق النبي –صلى الله عليه وسلم– لغير المسلمين، وزيادة لإيمان المؤمنين.

ولكي يكون التعريف شاملاً مانعاً، نستطيع أن نقول في تعريف التفسير العلمي باختصار: تفسير القرآن الكريم بحقائق العلم التجريبي.

ويعود تاريخ ظهور التفسير العلمي إلى أوائل القرن الرابع عشر الهجري، حيث ظهر مصطلح (التفسير العلمي للقرآن) وما في معناه من المصطلحات الحادثة، والتي تشير إلى تأويل أو تفسير القرآن بما يتفق مع النظريات العلمية أو

---

[١٠] العك، خالد عبد الرحمن، **أصول التفسير وقواعده**، دار النفائس، بيروت، ط:٢، ١٤٠٦هـ، ص: ٢١٧.

الاكتشافات الحديثة.

وأصل هذا التفسير كان قديماً في وقت الدولة العباسية؛ ولكنه في أول الأمر كان عبارة عن محاولات يُقصد منها التوفيق بين القرآن وما جَدَّ من العلوم، ثم وجِدت الفكرة مركَّزة وصريحة عند الإمام الغزالي، الذي دافع عن هذا الاتجاه ودعا إليه بقوة، فتحدث في كتبه عن كيفية انشعاب سائر العلوم من القرآن، فذكر علوم الطب والنجوم وهيئة العالم وهيئة بدن الحيوان، ثم مثّل ببعض الآيات التي لا يتم تفسيرها برأيه إلا عن طريق معرفة بعض العلوم؛ كعلم الطب في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[١١]، وعلم الهيئة والفلك في قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾[١٢].

ثم إن هذه الفكرة طُبِّقت علمياً وظهرت في مثل محاولات الإمام الرازي من خلال تفسيره (مفاتيح الغيب)، بل واشتد كثيراً على الذين لا يرون جواز هذا اللون من التفسير فوصفهم بالجهل والحمق[١٣].

ثم وجِدت بعد ذلك كتب مستقلة في استخراج العلوم من القرآن، وتتبع الآيات الخاصة بمختلف العلوم؛ ولكنها لم تكن مثل العصر الحديث كثرةً ولا مقارباً له، فراجت هذه الفكرة في العصر المتأخر رواجاً كبيراً، ونتج عن ذلك مؤلفات كثيرة تعالج هذا الموضوع، كما أُلِّفت بعض التفاسير التي تسير على ضوء هذه الفكرة.

---

[١١] الشعراء: ٨٠/٢٦ .

[١٢] يس: ٣٩/٣٦ .

[١٣] الرازي، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن التيمي، **مفاتيح الغيب**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:٣، ١٤٢٠هـ، ١٢١/١٤ .

2.1.1. آراء العلماء حول التفسير العلمي

اختلف العلماء في التفسير العلمي منذ القرون الأولى، وانقسموا على فريقين: فريق يرى أن هذا اللون من التفسير يُعدّ خروجاً بكتاب الله عن الهدف الذي أُنزل من أجله، وإقحاماً له في مجال اجتهاد للعقل البشري، يجرّب فيه، ويصيب ويخطئ. والفريق الآخر يجيزه، ويدعو إليه، ويرى فيه فتحاً جديداً، وتجديداً في طرق الدعوة، وهداية الناس إلى دين الله في عصر العلم.

المؤيدون للتفسير العلمي:

بالنسبة للمؤيدين؛ هناك كثير من العلماء أيّدوا التفسير العلمي للقرآن الكريم وفسّروا كثيراً من الآيات القرآنية على هذا المنوال، وعلى رأس المؤيدين، الإمامين الغزالي والرازي.

١- الغزالي (ت ٥٠٥هـ) في كتابه: (إحياء علوم الدين) نقل أقوال العلماء: بأن القرآن فيه إشارة إلى مجامع العلوم التي لا نهاية لها، حتى قال: لكل آية ستون ألف فهم، وما بقي في فهمها أكثر، والقرآن يحوي سبع وسبعين ألف علم ومائتي علم؛ إذ كل كلمة فيها علم، ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف؛ لأن كل كلمة لها ظاهر وباطن وحدّ ومطلع[١٤].

---

[١٤] الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ٣٢٢/٢-٣٢٣؛ المكي، أبو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي، **قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد الى مقام التوحيد**، تحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:٢، ١٤٢٦هـ، ٩٢/١، ١٠٥/١ .

أما في كتابه: (جواهر القرآن) فجعل فيه الفصل الرابع والخامس عن كل العلوم الدينية والدنيوية، كالطب، والنجوم، والهيئة، والتشريح، والطلسمات وغير ذلك، وقال: تفكر في القرآن والتمس غرائبه؛ ليتصادف فيه مجامع علم الأولين، والآخرين[١٥].

٢- الرازي (ت ٦٠٦هـ) في تفسيره الكبير: (مفاتيح الغيب) لم يترك آية تتحدث عن السماوات والأرض، والبحار والأنهار، والجبال، وكل آيات الآفاق والأنفس إلا أعمل فيها عقلَهُ وفسّرها بما وصل إليه العلم في عصرِهِ.

٣- النيسابوري (ت ٧٢٨هـ) في كتابه: (غرائب القرآن ورغائب الفرقان).

٤- البيضاوي (ت ٧٩١هـ) في تفسيره: (أنوار التنزيل).

٥- الزركشي (ت ٧٩٤هـ) في: (البرهان).

٦- السيوطي (ت ٩١١هـ) في كتابه: (الإتقان).

٧- الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ) في تفسيره: (روح المعاني).

٨- محمد عبده (ت ١٣٢٣هـ) في: (تفسير جزء عم).

٩- محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ) في: (تفسير المنار).

١٠- مصطفى صادق الرافعي (ت ١٣٥٧هـ) في كتابه: (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية).

---

[١٥] الغزالي، **جواهر القرآن**، تحقيق: د. محمد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم، بيروت، ط:٢، ١٤٠٦هـ، ص: ٤٧.

١١- طنطاوي جوهري (ت ١٣٥٩هـ) في تفسيره: (الجواهر في تفسير القرآن الكريم).

١٢- محمد عبد الله (ت ١٣٧٧هـ) دراز في كتابه: (مدخل الى القرآن الكريم).

١٣- محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٩هـ) في تفسيره، وفي كتابه (معجزة القرآن).

فهؤلاء العلماء وغيرهم أيّدوا التفسير العلمي، وتحدّثوا عن كثيرٍ من الاكتشافات العلمية، وربطوا بينها وبين آياتِ القرآنِ الكريمِ، وبين ما اكتشفَهُ العلم، وبين الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، والمؤيدين للتفسير العلمي لهم أدلتهم في هذا التأييد:

١- عموم بعض آيات القرآن الدالة على شموله، كقوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[١٦].

٢- القرآن يدعو الى التدبر والنظر في الكون والمخلوقات، كقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [١٧].

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[١٨].

وقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [١٩].

---

[١٦] الأنعام: ٣٨/٦ .

[١٧] ق: ٦/٥٠ .

[١٨] الغاشية: ١٧/٨٨-٢٠ .

[١٩] فصلت: ٥٣/٤١ .

٣- كثرة استدلال القرآن على علم الله وحكمته وقدرته بظواهر كونية، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾[٢٠].

وكقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[٢١].

٤- الأصل هو جواز التفسير بالرأي، والتفسير العلمي هو نوع من أنواع التفسير بالرأي والاجتهاد.

٥- العلم الحديث ضروري للفهم الدقيق لمعاني بعض الآيات، وربما صار التفسير العلمي من قواعد الترجيح في التفسير إذا كان للآية أكثر من معنى.

٦- للتفسير العلمي فوائد كثيرة؛ منها: دعوة غير المسلمين الى الإسلام، وزيادة إقامة الحجة عليهم، وملأ النفوس تعظيماً للخالق-عز وجل-، وزيادة إيمان المؤمن بصدق ما هم عليه.

---

[٢٠] القصص: ٢٨/٧١ .

[٢١] الأنبياء: ٢١/٣٠ .

المعارضون للتفسير العلمي:

وفي الجهة المقابل نجدُ هناك جبهة معارضة لهذا الاتجاه، وأكثرهم ممن تخصص في العلوم الشرعية أو الأدبية، وعلى رأس المعارضين، الإمام الشاطبي.

١- أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، ففي تفسيره (البحر المحيط) ردّ على الرازي في هذه المسألة، وذكر بأن الذين يغوصون في مثل هذه الفنون عند تفسير القرآن الكريم، يعتبر فضولاً في العلم، بل وزاد على كلامه فاعتبره: "من التخليط والتخبيط في أقصى الدرجة"[٢٢].

٢- الشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، هو أشهر المعارضين للتفسير العلمي على الإطلاق، حيث قرر في (الموافقات)[٢٣]، أن علم التفسير مطلوب فيما يتوقف عليه فهم المراد من الخطاب، فإذا كان المراد معلوماً فإن الزيادة على ذلك تكلّف؛ وذكر أن العرب وقت نزول القرآن لم يتعهدوا على مثل هذا التكلف من تفسير الآيات بعلوم الهيئات والطب والهندسة والنجوم.

٣- محمود شلتوت (ت ١٣٨٤هـ) في: (تفسير القرآن الكريم)[٢٤].

٤- أمين الخولي (ت ١٣٨٥هـ) في كتابه: (التفسير معالم حياته ومنهجه اليوم)[٢٥].

---

[٢٢] أبو حيان، أبو أثير الدين محمد بن يوسف بن علي ين يوسف بن حيان الأندلسي، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط:١، ١٤٢٠هـ، ٥٤٧/١ .

[٢٣] الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، **الموافقات**، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، القاهرة، ط:١، ١٤١٧هـ، ٥٧/١ .

[٢٤] شلتوت، محمود محمد، **تفسير القرآن الكريم الأجزاء العشرة الأولى**، دار الشروق، القاهرة، ط:١٢، ١٤٢٤هـ، ص: ١١-١٤ .

٥- سيد قطب (ت ١٣٨٦هـ) في تفسيره: (في ظلال القرآن)[٢٦].

٦- محمد حسين الذهبي (ت ١٣٩٧هـ) في: (التفسير والمفسرون)[٢٧].

٧- محمد كامل حسين (ت ١٣٩٧هـ) في كتابه: (الذكر الحكيم)[٢٨].

٨- صبحي الصالح (ت ١٤٠٦هـ) في كتابه: (معالم الشريعة الإسلامية)[٢٩].

٩- شوقي ضيف (ت ١٤٢٦هـ) في كتابه: (الوجيز في تفسير القرآن الكريم)[٣٠].

فهؤلاء العلماء والمفسرون أنكروا التفسير العلمي للآيات القرآنية، وذكروا أن القرآن كتاب هداية، وليس بنظريات الهندسة، أو الطب، أو النجوم، والتفسير العلمي للآيات الكونية دعوى لا دليل عليها، وهذا التوجه من التفسير يعتبر جناية كبرى، وأصحابه أساءوا أبلغ الإساءة الى القرآن والإسلام بسبب التعسف وتحميل الألفاظ ما لا تحتمل، وبسبب تعريض كلام الله للكذب والتكذيب، وتحويل القرآن الى كتاب يقرر النظريات العلمية على أنها عقائد دينية.

وهؤلاء المعارضون للتفسير العلمي أيضاً لهم أدلة كثيرة تقوي موقفهم ومعارضتهم للتفسير العلمي، ومن أدلتهم:

---

[٢٥] الخولي، أمين، **التفسير معالم حياته ومنهجه اليوم**، جماعة الكتاب، القاهرة، ط:١، ١٣٦٣هـ، ص: ١٩-٢٧

[٢٦] قطب، سيد إبراهيم حسين الشاذلي، في ظلال القرآن، دار الأصول العلمية، أسطنبول، ط:١، ١٤٤٠هـ، ٣٢/٤ .

[٢٧] الذهبي، **التفسير والمفسرون**، ١٥٧/٣ .

[٢٨] حسين، محمد كامل، **الذكر الحكيم من وجهة نظر عصرية**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط:١، ١٣٩١هـ، ص: ٥٩ .

[٢٩] الصالح، صبحي بن إبراهيم، **معالم الشريعة الإسلامية**، دار العلم للملايين، بيروت، ط:٤، ١٤٠٢هـ، ص: ٢٩١ .

[٣٠] ضيف، أحمد شوقي عبد السلام، **الوجيز في تفسير القرآن الكريم**، دار المعارف، القاهرة، ط:٢، ١٤١٥هـ، ص: ١٠ .

١- التفسير العلمي تكلّف، لأن المراد من خطاب القرآن معلوم، وما زاد على ذلك فهو تكلف.

٢- القرآن الكريم كتاب هداية، وإن الله لم ينزله ليتحدث الناس فيه عن نظريات العلوم.

٣- التفسير العلمي مدعاة للزلل.

٤- التفسير العلمي يجعل القرآن كتاب تفصيل لدقائق العلوم، وغرض القرآن أسمى من ذلك.

٥- التفسير العلمي بدعة جديدة، لم تؤثر عن الصحابة والسلف وأهل التفسير في القرون المفضلة.

٦- التفسير العلمي يعرّض القرآن للتكذيب، حين تنقض النظريات والفرضيات العلمية.

٧- التفسير العلمي يتنافى مع كون القرآن خطاب للناس كافة العوام والعلماء.

٨- التفسير العلمي مفاسده أكبر من مصالحه، ودرء المفسدة مقدم على جلب المصلحة.

الترجيح بين آراء المعارضين والمؤيدين للتفسير العلمي:

فعند التأمل في أدلة المعارضين والمؤيدين للتفسير العلمي؛ يتضح للباحث ما يلي:

١- قوة الأدلة التي ساقها كل طرف.

٢- لعل من أقوى أدلة المؤيدين؛ أن الأصل جواز التفسير بالرأي، ولا ريب أن التفسير العلمي نوع من أتواع اجتهاد المفسر برأيه في زيادة ايضاح معنى الآية.

٣- أما ما ساقه المعترضون من الأدلة؛ تؤكد وقوع الزلل لدى أكثر الخائضين في التفسير العلمي، وأن درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة.

٤- أهمية ما ذكره المعترضون من أدلة والحاجة الى اعتماد أكثرها كضوابط لقبول التفسير العلمي.

وخلاصة الأمر أن التفسير العلمي نوع من أنواع التفسير بالرأي، وأن منه ما يكون محموداً جائزاً حين يصدر عن علم ولا يتعارض مع الكتاب والسنة، ويكون صاحبه عالماً باللغة العربية وأصول الشريعة الإسلامية، عاملاً بضوابط قبول التفسير العلمي.

ومن التفسير العلمي ما يكون مذموماً محرّماً؛ حين يصدر عن جهلٍ أو هوى، ولا يلتزم صاحبه بضوابط قبول التفسير العلمي، وبالتالي: فالأصل هو جواز التفسير العلمي ولكن بضوابط.

3.1.1. ضوابط قبول التفسير العلمي

اجتهد الباحثون المعاصرون في صياغة ضوابط لقبول التفسير العلمي، واستنبطوها في الغالب من أدلة المعارضين لهذا النوع من التفسير.

كثير من العلماء ذكروا هذه الضوابط، منهم: مصطفى مسلم في كتابه (مباحث في إعجاز القرآن)، وفضل عباس في كتابه (إعجاز القرآن الكريم)، وأحمد أبو حجر في (التفسير العلمي للقرآن في الميزان)، وعبد الله المصلح في (الإعجاز العلمي في القرآن والسنة).

ولكنني لخّصت أبرز الضوابط مستفيداً من كتب جميع ما سبق من العلماء:

١- أن لا يجزم المفسر أن التفسير العلمي الذي يذكره هو وحده التفسير المقبول للآية القرآنية.

٢- يجب أن يقتصر على الحقائق العلمية دون اللجوء الى النظريات والفرضيات.

٣- أن لا يخوض المفسّر في الأمور الغيبية، وإخضاعها للتفسير العلمي.

٤- الذي يتصدى للتفسير العلمي ويفسّر القرآن تفسيراً علمياً؛ يجب أن يتوفر فيه شروط المفسّر، مع قدر كاف من المعرفة بالعلم التجريبي أو الكوني الذي يفسّر القرآن على أساسه، فلا يمكن لكل أحد أن يسبح في هذا البحر العظيم.

٥- أن لا يطغى التفسير العلمي على بقية مباحث التفسير، إلا إذا أفرد المؤلف كتاباً خاصاً بالتفسير العلمي دون سواه.

٦- عدم مخالفة تفسير نبوي، أو إجماع للصحابة في تفسير آيةٍ ما.

٧- عدم تحميل اللفظ القرآني ما لا يحتمله في اللغة العربية ليوافق التفسير العلمي المراد.

٨- يجب أن يعتمد على الحقائق الثابتة والمستقرة، التي تثبت بالأدلة القطعية، ويشهد المتخصصون بصحتها.

٩- أن يدلّ نص من القرآن أو السنة على هذه الحقيقة العلمية، بوجه من وجوه الدلالة الشرعية، وفقاً لأصول التفسير، وقواعد اللغة العربية، ومقاصد الشارع.

١٠- ويستحسن أن يقوم مجموعة من الباحثين والمتخصصين في مجالي العلوم الكونية والعلوم الشرعية بتفسير القرآن الكريم تفسيراً علمياً، ويقومون بإعداد البحوثات وإجراء الدراسات في هذا المجال، فإذا الكان الأمر هكذا؛ فيكون هذا التفسير العلمي من أصح وأوثق التفاسير بهذا اللون، لأنه جمع بين التفسير العلمي الثابت والشرعي الصحيح.

2.1. ترجمة محمد راتب النابلسي

1.2.1. إسمه، ومولده، ونشأته، وأسرته

محمد راتب عبد الغني النابلسي، ينتهي نسبه إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–.

ولد في دمشق عاصمة سوريا عام ١٩٣٨م، في أسرة فقيرة مادياً وغنية علمياً، وفيها انضباط إجتماعي شديد، فقد كان والده –الذي لم يدركه– عالماً من كبار علماء دمشق آنذاك، وكان يدرّس في كثير من جوامع دمشق، وبعد وفاته ترك له مكتبة كبيرة وفيها بعض المخطوطات المهمة والنادرة.

تعلم النابلسي في مدارس دمشق الإبتدائية والإعدادية والثانوية، ثم التحق بمعهد إعداد المعلمين في دمشق أيضاً وتخرج منه عام ١٩٥٦م، وبعدها دخل الى المرحلة الجامعية حيث درس في قسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة دمشق وتخرج منها عام ١٩٦٤م، ونال درجة ليسانس، في آداب اللغة العربية وعلومها.

وبعد ذلك تابع الدراسات العليا في نفس الكلية، ففي عام ١٩٦٦م حصل على دبلوم التهيل التربوي بتفوق، ثم حصل على الماجستير في الآداب جامعة ليون (فرع لبنان)، والدكتوراه في التربية من جامعة دبلن في بريطانيا، في موضوع تربية الأولاد في الإسلام، عام ١٩٩٩م.

وقد حصل أيضاً على الدكتوراه الفخرية من الجامعة الأمريكية المفتوحة المتخصصة بالعلوم الإسلامية والعربية، عام ٢٠١٥م في عمّان، وذلك تقديراً لجهوده في خدمة الدعوة الإسلامية.

عمل محمد النابلسي في حقل التعليم الثانوي الرسمي، ثم الجامعي، حيث عيّن أستاذاً محاضراً في كلية التربية بجامعة دمشق، ابتداءً من عام ١٩٦٩م، وحتى عام ١٩٩٩م.

2.2.1. جهوده العلمية والدعوية

محمد راتب النابلسي له جهود علمية ودعوية كبيرة ومميزة؛ فمنذ وقت مبكر من حياته بدأ بطلب العلم الديني والشرعي، فلزم دروس العلم الشرعي لعدد من العلماء في دمشق، ونال إجازة العلمية في رواية الحديث الشريف من أستاذه في كلية الآداب (صبحي الصالح) أستاذ علوم القرآن وعلوم الحديث وفقه اللغة في جامعة دمشق.

وفي عام ١٩٧٤م عيّن الدكتور النابلسي خطيباً في جامع جده (عبد الغني النابلسي)، وعيّن أيضاً مدرساً في مساجد دمشق، ثم عيّن مديراً لمعهد تحفيظ القرآن، وعضواً في عدد من اللجان التي شكلتها وزارة الأوقاف السورية، منذ ذلك الوقت والى الآن لايزال هو مستمر في الخطابة والتدريس.

ويدرّس أيضاً مادة الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة في جامعة الأزهر فرع دمشق لقسم التخصص للدراسات العليا.

وقد ألّف وشارك في تأليف عدة كتب متعلقة بعمله الوظيفي، أبرزها كتاب المطالعة الذي كان يدرّس بنفسه لطلاب المرحلة الثانوية بفرعيها الأدبي والعلمي، واستمر تدريسه قرابة عشر سنوات، وأيضاً ألّف كتاب أصول تدريس اللغة العربية لطلاب الدراسات العليا في كلية التربية في جامعة دمشق.

وأيضاً هو عضو مؤسس لجمعية مكافحة التدخين والمواد الضارة في سوريا،

ورئيس لجمعية حقوق الطفل في سوريا، ومشرف على مجلة نهج الإسلام التي تصدرها وزارة الاوقاف في الجمهورية العربية السورية.

وشارك النابلسي ممثلاً عن سوريا في عدد كبير من المؤتمرات الإسلامية في بلاد عربية وغربية وشرقية، ولبّى دعوات من الجمعيات والجاليات والجامعات الإسلامية في أمريكا الشمالية وأستراليا وتركيا ولبنان، لإلقاء محاضرات دينية.

والى الآن هو مستمر في إلقاء الخطب المحاضرات والدروس والندوات، وله برامج دينية يبث عن طريق أكثر من عشرين قناة فضائية.

وبالنسبة لمؤلفات النابلسي؛ فله مؤلفات عدة، أبرزها:

١- تفسير النابلسي، ١٤ مجلد.

٢- موسوعة أسماء الله الحسنى، ٤ مجلدات.

٣- أولادنا الورقة الرابحة الأولى، مجلدين.

٤- نظرات في الإسلام.

٥- تأملات في الإسلام.

٦- ومضات في الإسلام.

٧- مقومات التكليف.

٨- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

٩- آيات الله في الإنسان.

١٠- آيات الله في الآفاق.

١١- رحلة الحج.

١٢- الإسراء والمعراج.

١٣- الهجرة.

١٤- كلمات مضيئة ولقاءات مثمرة.

١٥- روائع.

١٦- سبل الوصول الى الله.

١٧- أعمال القلوب.

١٨- أعمال الجوارح.

١٩- نداء الله للمؤمنين.

٢٠- منهج التائبين.

٢١- قوانين من القرآن الكريم.

٢٢- ربيع الإيمان.

٢٣- متى نصر الله.

٢٤- سماحة الإسلام وإنسانية محمد.

هذا جزء من الجهود العلمية والدعوية للشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي، وعند التأمل في خطبه ودروسه وكتبه.

3.2.1. منهجه في الدعوة والإرشاد.

النابلسي له منهج معتدل ووسطي في الدعوة والإرشاد، نستطيع أن نلخصه في النقاط الآتية:

١. يلقي محاضراته ودروسه بعقلانية نيّرة بعيدة عن العاطفة الساذجة.

فواقع الأمة الإسلامية في هذه الأيام يحتاج الى العقلانية أكثر من العاطفة، عقلانية مشوبة بتعاليم الروحانية، لتعطينا مزيجاً رائعاً يغذّي الروح والعقل معاً، لذا فكثيراً ما يقول في دروسه: إن الأمة لا تنهض إلا بقلب شرقي وعقل غربي.

٢. يطبق ما عنده من العلم تطبيقاً عملياً.

كثراً ما يضرب مثالاً على من لديه من العلم الشيء الكثير، ولكن لا يطبّق هذا العلم تطبيقاً واقعياً، فيقول: فرضاً أن هناك مريض ذهب إلى طبيب ماهر، فهذا الطبيب شخّص له مرضه، وكتب له وصفة طبية جيّدة؛ فهل إذا قرأ هذه الوصفة عشرات المرات وبصوت جهوري فصيح، ينتفع المريض، دون أن يشتري الدواء الموصوف ويتناوله؟ بالتأكيد لا ينتفع، بل يجب أن يشتري الدواء ويستعمله، وهكذا يجب أن يكون العالم، فيطبق ما عنده من العلم، يقول المولى –ﷻ– {يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تعلمون}.

٣. يحاكي قضايا الشارع الإسلامي، كقضايا إقتصادية معاصرة مثل قضية البنوك الربوية، والتأمين التقليدي والإسلامي، وقضايا إنسانية كتعرض المسلمين للظلم في مشارق الأرض ومغاربها، وغير ذلك من القضايا المعاصرة والساخنة في الشارع الإسلامي.

٤. هاديء في الطرح.

فهدوء العالم والداعية ينم عن شخصيته المتزنة، وهو هدوء ممزوج بحكمة واضحة، وعند سماع دروسه وخطبه وبرامجه؛ نجد الهدوء والسكينة في كلامه، فلا صراخ ولا عويل ولا سباب.

٥. أسلوبه منطقي، بعيد عن التناقض والتعارض.

فمثلاً عندما يتكلم عن المسلمين اليوم، يقول بأن مسلمي اليوم ليس لهم أية مزية عند ربهم، فقد قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[٣١]، فلو أن مسلمي اليوم محبوبون عند الله؛ فلم يعذبهم بكثرة المحن والإبتلاءات التي تصيبهم.

٦. جريء في معالجة قضايا المجتمع، بلا مداهنة ولا مهادنة.

فهو يؤكد دائماً بان المرأة مظلومة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية،

[٣١] سورة المائدة: ١٨/٥ .

وكثيراً ما انتقد ونصح الحكام والرؤساء والملوك علناً، ولكن بحكمة وهدوء.

٧. يهتم بمسألة التوحيد، ويعادي أهل الشرك والدجل بالحكمة والإرشاد.

فعند ظهور الشرك والبدع والخرافات في مجتمعاتنا ووجود حملات لتضليل الناس؛ واجب على العلماء والدعاة والخطباء أن يصدّوا عن هذه الحملات ويبينوا للناس أهمية التوحيد وخطر البدع والدجل، فالنابلسي يعتبر من هؤلاء العلماء الذين لا يخافون في الله لومة لائم.

٨. إنتاجه غزيرة، ومعالجاته متنوعة وكثيرة.

فقد فسّر القرآن الكريم، وشرح أسماء الله الحسنى، وتكلم في فقه السيرة، واستطرد في الإعجاز العلمي، وروى سير الصحابة والتابعين، وتحدث في شمائل المصطفى –صلى الله عليه وسلم–، وعالج قضايا حياتية كثيرة.

٩. لغته العربية فصيحة وسليمة وجانب تربوي واضح.

فمن أهم أسباب نجاح الداعية، إتقان اللغة العربية السليمة والفصيحة، فالنابلسي لأنه كان إختصاصه في اللغة العربية وهو مجاز باللغة العربية وآدابها؛ فهو يتكلم في دروسه وخطبه بلغة عربية جميلة، وبما أنه حاصل على الدكتوراه في التربية؛ فالجانب التربوي واضح في مسيرته العلمية والدعوية.

١٠. خطابه موجه لجميع فئات المجتمع، فالذي يتابع دروسه وكتبه، لا يجد فيها مذهبية ضيقة ولا طائفية مقيتة، وهو أحياناً يلوّح تورية، دون أن يذكر فرقة أو مذهباً أو طائفة.

١١. هو بعيد عن السياسة والسياسيين.

فمع كثرة الأحزاب والجماعات الساسية، ودخول كثير من الدعاة والعلماء الى هذا المستنقع؛ نجد أن النابلسي أمسك العصا من الوسط، فلا يتدخل في الشؤون السياسية أبداً، لذا فلا يستطيع أي دولة من منع محاضراته ودروسه وكتبه.

١٢. يقوم دوماً بإعلاء شأن العلم.

يهتم النابلسي بالعلم كثيراً، ويحرض الشباب الى التعلم وحضور حلقات العلم، والإهتمام بالدراسة، فمن أشهر مقولاته: إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم.

١٣. يعتني كثيراً بالشباب والقضايا الخاصة بهم، فهو يتحدث كثيراً في دروسه وكتبه عن الشباب ويهتم بقضاياهم، ويقوم بوضع حلول لمشاكلهم وهمومهم، على رأس هذه الهموم، مسألة الزواج، وفرص العمل.

هذا هو المنهج الذي يسير عليه د. محمد راتب النابلسي في مسيرته العلمية والدعوية.

3.1. تعريف بتفسير النابلسي

1.3.1. بدايات التفسير

بداية تفسير النابلسي تعود الى عام ١٩٧٠م، حيث بدأ محمد راتب النابلسي درساً أسبوعياً في التفسير في جامع جده عبد الغني النابلسي بدمشق، فبدأ أولاً بتفسير الجزء الثلاثين من القرآن الكريم، وبعد ذلك فسّر الأجزاء التسعة التي قبله، أي من جزء الواحد والعشرين الى جزء التاسع والعشرين، ثم بدأ بتفسير الأجزاء العشرة الثانية، أي من جزء الحادي عشر الى جزء العشرين، وبعد ذلك انتقل الى تفسير الأجزاء العشرة الأولى، فوصل الى منتصف سورة التوبة في دمشق، ثم بعد ذلك انتقل الشيخ من دمشق الى عاصمة الاردن عمّان، فأكمل التفسير هناك في مسجد الهادي، وبذلك تم تفسير القرآن الكريم كاملاً، وجميع ذلك كان على شكل دروس في المسجد وبحضور مئات من الناس.

واستغرق التفسير كاملاً حوالي أربعون عاماً.

قدّم تفسير السور المكية على تفسير السور المدنية، لأنه يعتقد أن الآيات المكية التي نزلت أولاً تتضمن التعريف بالله واليوم الآخر، والآيات التي نزلت في المدينة بعد الهجرة تتضمن في مجملها التشريع، لذلك يقول الدكتور النابلسي:

الإنسان إذا عَرَفَ الآمِرَ ثمّ عَرَفَ الأمْرَ؛ تفانى في طاعته، وإذا عَرَفَ الأمْرَ ولم يعرِف الآمِرَ؛ تفنّن في معصيته.[٣٢]

وكما أشرت إليها سابقاً، أن هذا التفسير قُدِّم كدروس ومحاضرات في المسجد، وكان النابلسي حريصاً على تسجيل جميع الدروس بآلات التسجيل، على أشرطة (الكاسيت) الذي كان معهوداً في ذاك الوقت.

بعد إكمال تسجيل جميع دروس التفسير؛ كلّف بعضاً من طلابه بتفريغ تلك الأشرطة، لتكون مكتوباً على الورق، بحيث يطابق النص المسموع النص المقروء، من دون زيادة أو نقصان.

وهنا واجهوا مشكلة؛ فالنابلسي أحياناً كان يستخدم في دروسه ومحاضراته لغة العوام، لكي يفهم الجميع من كلامه، لأن جميع شرائح المجتمع كانوا يتواجدون في هذه الدروس.

ومن ناحية أخرى، كان من الضروري تخريج الأحاديث الواردة في الدروس، فعند إلقاء الدروس قد لا يمكن أن يخرج الشيخ الأحاديث، ولكن عند الكتابة لابدّ أن يكون الأحاديث مخرجاً تخريجاً علمياً.

---

[٣٢] النابلسي، محمد بن راتب، **تفسير النابلسي**، مؤسسة الفرسان، عمّان، ط:١، ١٤٣٨هـ، ١٧/١ .

وأيضاً كان لابدّ من مراجعة الأرقام والإحصائيات وبعض المسائل العلمية التي وردت في تلك الدروس، وقد يتغير الإحصائيات من زمن لأخرى، لذا فقد نسمع في الدروس المسموعة شيئاً ونقرأ في المقروءة شيئاً آخر.

في هذه المرحلة وبعد أن فرغوا الدروس المسموع كاملاً، وجعلوها مكتوباً؛ رأى محمد النابلسي نفسه أمام سفرٍ عظيم الحجم، لذا فكان من الضروري أن يساعده طلابه، فدفع تفسيره المكتوب الى بعض من خواص طلابه، وهم بدؤوا بعملهم على منهجٍ وضع لهم النابلسي بنفسه.

هكذا انتهت كتابة هذا التفسير العظيم، وسماه صاحبه بـ(تدبّر آيات الله في النفس والكون والحياة) انطلاقاً من قناعته أنه لا يعدوا كونه تدبراً لآيات الله الكونية والتكوينية والقرآنية.[٣٣]

[٣٣] النابلسي، **تفسير النابلسي**، ١/٢٠ .

2.3.1. مصادر تفسير النابلسي

استفاد محمد راتب النابلسي في تحضير دروسه في التفسير على أمهات كتب التفسير، كتفسير الطبري[٣٤]، وتفسير الرازي[٣٥]، وتفسير القرطبي[٣٦]، وتفسير ابن كثير[٣٧]، ومن المعاصرين استفاد من تفسير القاسمي[٣٨]، والجواهر في تفسير القرآن الكريم[٣٩]، وفي ظلال القرآن[٤٠]، وتفسير الشعراوي[٤١]، وغيرهم من التفاسير.

واجتهد في فهم الآيات الكونية في الآفاق وفي خلق الإنسان وغير ذلك؛ من خلال المجلات العلمية والموسوعات العلمية العالمية، كموسوعة لايف الأمريكية، وموسوعة العلمية البريطانية، وغير ذلك من الموسوعات والمجلات والمواقع العلمية العالمية.

---

[٣٤] جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ).

[٣٥] مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ).

[٣٦] الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ).

[٣٧] تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ).

[٣٨] محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ).

[٣٩] الجواهر في تفسير القرآن الكريم، لطنطاوي جوهري (١٣٥٨هـ).

[٤٠] في ظلال القرآن، لسيد قطب (ت: ١٣٨٦هـ).

[٤١] تفسير وخواطر الشعراوي، للشيخ محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٩هـ).

3.3.1. طبع ونشر تفسير النابلسي

تفسير النابلسي له طبعة واحدة فقط، وقد تولّت مؤسسة الفرسان للنشر والتوزيع، التي مقرها في العاصمة الأردنية عمّان، بطباعة وإخراج ونشر هذا التفسير، عام ٢٠١٧م-١٤٣٨هـ.

وهذا التفسير كان في البداية طبع في عشر مجلدات، وبعد فترة قصيرة طبع بنفس الطبعة في أربعة عشر مجلد، وبخط أكبر حجماً من الأول، وفي أوراق الشمواه الملون.

وتوجد نسخة مختصرة لهذا التفسير، طبع أيضاً في مؤسسة الفرسان، في مجلد واحد.

وقام بالمراجعة العلمية للتفسير؛ بلال نور الدين، وعبد الرحمن حرش، وهما من طلاب النابلسي.

ولأن تفسير النابلسي طبع منذ ثلاث سنوات فقط؛ فلا يوجد لحد الآن طبعة أخرى.

الفصل الثاني

2. منهج النابلسي في التفسير العلمي

1.2. المنهج العام في تفسير النابلسي ومميزات تفسيره

1.1.2. المنهج العام في تفسير النابلسي

كما أشرنا إليها سابقاً أن هذا التفسير قام بكتابته بعض طلاب النابلسي، بتكليف منه، بعد أن كان مسجلاً على أشرطة الكاسيت، وكانوا يسيرون على منهج وضعه لهم الدكتور، وهو كالآتي:

١. الآيات القرآنية: كان منهجم يبدأ بوضع الآية الرئيسية المراد شرحها قبل تفسيرها، ثم تخريجها.

٢. وجوه القراءات: أتوا بوجوه القراءات للآية، إن كان لها أكثر من قراءة، وجاءوا بهذه القراءات من الكتب المعتبرة في القراءات القرآنية.

٣. الأحاديث النبوية: قاموا بتخريج تلك الأحاديث، مع ذكر راويها، وتشكيلها، لكي يتيسّر على الجميع قراءتها وتجب الأخطاء فيها.

٤. الأقوال والآثار: بما أن تفسير النابلسي مليء بالأقوال والآثار، فيستشهد بها الشيخ في أماكنها، لغرض الإنتفاع بها، ولكنه غالباً لا يذكر قائلها ولا مصدر هذه الأقوال والآثار، فقام فريق العمل بعزو جميع الأقوال والآثار المستشهد بها،

من المصادر الأصلية، مع ذكر قائلها، وما لم يقفوا منه على قائل؛ صدروه بلفظ: قيل، أو قال بعضهم.

٥. المسائل الفقهية: قام الفريق المتخصص بتحرير المسائل الفقهية الموجودة في التفسير، وإحالة الآراء الفقهية الى مواضعها وقائلها، واستفادوا لذلك من أمهات كتب الفقه في المذاهب الأربعة المعتبرة.

٦. صياغة النص: الدرس العام المسموع يختلف كثيراً عن المكتوب، لذا فكان لزاماً أن تعاد صياغة بعض الجمل في الشرح والتفسير، فقاموا باختيار أحسن الألفاظ لهذه الجمل، وقاموا بالتقديم والتأخير، والحذف والزيادة، تنسيقاً للأفكار، وقاموا أيضاً بتشكيل بعض الكلمات التي تحتاج الى التشكيل.

٧. المسائل العلمية: بما أن تفسير النابلسي مشهور بالمسائل العلمية ومحمد راتب النابلسي يهتم كثيراً بتفسير الآيات التي تتحدث عن الإعجاز العلمي؛ فكان من الضروري أن يكون المسائل العلمية الموجودة في التفسير مطابقاً للواقع، لذا فقد قام بعض المختصين بالدراسات العلمية من طب وهندسة وعلوم طبيعة وتاريخية وجغرافية؛ بمراجعة دقيقة للمسائل العلمية الموجودة في التفسير، وهذا التدقيق يعتبر من الواجبات في هذا التفسير، لكي لا يقع في فخ المنتقدين العلميين.

٨. المكررات: في الدروس والمجالس العلمية قد يستدعي أن يكرر الأستاذ نصوصاً سواء كان من الآيات أو الأحاديث أو الآثار أو القصص أو المسائل العلمية والفقهية أو حتى كلام الأستاذ نفسه، يتكرر هذه النصوص التي تناسب هذا الدرس أو تلك المجلس، لتوضيح المعنى وتقريب الفهم للسامع.

ولكن في الكتابة يجب حذف هذا النوع من التكرار، لأن القارئ يستطيع أن يكرر نصاً مكتوباً إذا تعذّر عليه فهمه، بخلاف الدروس المباشر، فقد يكون التكرار لازماً، وذلك لاختلاف المجالس، واختلاف السامعين، وتغيرهم وتجددهم.

هنا قام فريق العمل بحذف الآيات والأحاديث والأثار المكررة، وجمعوا جميع الأفكار المتفرقة في مكان واحد، عند أول موضع وردت فيه، واختاروا المكان الأكثر ملائماً لهذه الأفكار، ومع هذا فقد تركوا آيات أو أحاديث أو آثار مكررة، لضرورة التكرار حينئذ، ولكن جعلوها بعيدة بعضها عن بعض قدر الإمكان، بحيث لا يُشعَر بتكرارها.

2.1.2. مميزات تفسير النابلسي والمآخذ عليه.

أ- مميزات تفسير النابلسي

كل تفسير من التفاسير الذي بين أيدينا، له نقاط تميزه عن باقي التفاسير، وتفسير النابلسي له مميزات اختصرتها في هذه النقاط:

١. المسائل العلمية: هذا التفسير يعتني في المرتبة الأولى بالآيات التي تتحدث عن الإعجاز العلمي والمسائل العلمية في خلق الإنسان والكون، والتي تزيد على ألف آية، وفيه فُسّر هذه الآيات تفسيراً علمياً، انطلاقاً من قناعة المفسّر بأن التفكر أوسع باب وأقصر طريق للوصول الى الله تعالى، لذا يعتبر ها التفسير من أكثر التفاسير ذكراً للمسائل العلمية، فنجد فيها مئات من المسائل العلمية، والنظريات الحديثة، الذي قلّما نجده في التفاسير الأخرى سواء القديمة أو المعاصرة.

٢. الإسقاطات الواقعية: مما يميّز هذا التفسير عن التفاسير الأخرى؛ الإسقاطات الواقعية، فقام المفسّر بإسقاط معاني الآيات القرآنية على واقع المسلمين اليوم، لأن القرآن الكريم منهج الحياة.

وكون بعض الآيات تتعلق بحادثة معيّنة، أو لها سبب نزول خاص؛ فهذا لا يعني تقييدها بهذه الحادثة أو هذا السبب، بل يمكن أن نستفيد من هذه الآيات في كل

زمان ومكان، وننزلها في أرض الواقع، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

٣. ذكر القصص: ومن مميزات تفسير النابلسي؛ ذكر القصص الواقعية، فقد قام المفسّر بذكر قصص واقعية حدثت في زماننا وقصص حدثت عبر التاريخ، وهذه القصص لها حظ وافر من هذا التفسير.

٤. ذكر الأمثلة: قام المفسّر بذكر الأمثلة توضيحاً لمعاني الآيات القرآنية، فقد لا نجد آية أو مسألة؛ إلا وقد جاء بذكر أمثلة فيها، والمثال يرسخ المعنى ويثبته، وذكر الأمثلة والقصص أسلوبان قرآنيان جليّان في كتاب الله تعالى.

٥. الأدلة العقلية: أحياناً نجد المفسّر يأتي بأدلة وأمثلة عقلية، لأن في زماننا هذه كثر الأفكار المنحرفة، وكثر الملاحدة والمنتمون لأفكارهم، فكان من الضروري أن يوجّه المفسّر كلاماً الى هؤلاء القوم، فلا يوجد أفضل من الأدلة العقلية، لأنه لا يمكن مناقشتهم بالأدلة من القرآن والسنة، فهم أصلاً لا يؤمنون بالله تعالى، لذا فمن الضروري أن يُضرَب لهم بالأدلة العقلية.

ب- المآخذ على تفسير النابلسي:

وكما أن لهذا التفسير من مميزات؛ فهناك مآخذ عليه، ألخّصه في نقاط:

١. كثرة الإستطرادات: قد نجد المفسّر يستطرد أكثر من لازم، فأحياناً عندما يفسّر آية معينة، يبدأ بذكر موضوع من المواضيع، ثم ينتقل الى أخرى من دون لازم.
٢. التفصيل والتقصير: في تفسير بعض الآيات فصّل تفصيلاً مملاً، وفي بعض الآيات الأخرى يقصّر في تفسيرها بحيث لا يعطيها حقها من البيان والشرح الكافي.
٣. الإكثار من القصص والأمثلة: نحن ذكرنا في المميزات أن النابلسي يميز عن غيره بذكر القصص والأمثلة، ولكنه أحياناً يكثر منهما، فإذا قمنا بتصفح تفسير النابلسي، نرى بأنه مليء بالقصص والأمثلة، حتى في مواضع لا تحتاج الى ذكرهما، وهذا يعتبر من المآخذ على التفسير، لأن ذكر القصص والأمثلة أحياناً يكون ضرورياً، ولكن كالملح في الطعام، وليس بالإكثار منهما.
٤. التكرار: قد يكون التكرار ضرورياً في مواضع، وطبيعي في مواضع، ومذموم في مواضع أخرى، فهذا التفسير فيه من الأنواع الثلاثة، ولكن قد نرى شيئاً من التكرار المذموم في أماكن كثيرة، فمثلاً قد نجد قصة معينة تكررت أكثر من مرة في سورة واحدة وبنفس الكلمات ونفس الأسلوب.

ولكن هذا الأمر قد لا يعتبر من المآخذ على التفسير، لأنه وكما أشرنا إليها سابقاً أن هذا التفسير أصله أخذ من المحاضرات والدروس، والتكرار في الدروس والمحاضرات قد يكون غير مقصود أحياناً، وقد يكون مقصوداً لكي ينتفع الحاضرون الجدد.

٥. عدم ذكر مصادر المعلومات: وهذا يعتبر من أكبر المآخذ على تفسير النابلسي، بما أنه مشهور بكثرة المسائل العلمية، أو أصلاً هو تفسير علمي؛ فكان لابدّ أن يذكر مصادر المعلومات، بالأخص عند ذكر المسائل العلمية، فالذي يقرأ هذا التفسير، لا يجد عند ذكر المسائل العلمية، أسماء المصادر ولا مرة واحدة، وهذا يقلل من جودة هذا التفسير، لأن ذكر المصادر يقوّي ثقة القارئ والباحث بهذا التفسير، فمثلاً كثيراً ما يذكر مسائل علمية، ويقول: العلماء قالوا كذا، أو وصلوا الى هذه الحقيقة، أو اكتشفوا هذه النظرية، وغير ذلك من الكلام؛ فالذي يبحث عن الحقيقة يسأل: من هم هؤلاء العلماء؟ ومن أين وجدت هذه المعلومات؟ وكيف أستطيع أن أبحث في المصادر الأصلية؟ من هنا يبدأ تشكيك الناس بحقيقة وأصل وصدق هذه المعلومات وهذه المسائل العلمية.

وبالمقابل نستطيع القول بأن المفسر معذور بعدم ذكر المصادر، وهذا لكي لا يطيل على القارئ، أو أن أكثر المصادر باللغة الإنجليزية، أو لأن هذا الكتاب هو

تفسير القرآن وليس بحث علمي، أو لأنه لا يمكن ذكر هذه المصادر في الدروس والمحاضرات.

٦. بما أن هذا التفسير اشتهر بأنه تفسير علمي للآيات؛ فكان من الواجب أن لا يترك المفسّر أي مسألة من المسائل العلمية، فمثلاً: ما تطرق الى التفسير العلمي لكلمة (الذرة)، مع أنها ذكرت في القرآن الكريم ست مرات؛ في سورة النساء مرة، وسورة يونس مرة، وسورة سبأ مرتين، وسورة الزلزلة مرتين، ومع هذا ما ذكر النابلسي المعنى الحقيقي للذرة، ولكن فسّرها تفسيراً عابراً وبكلمات قليلة جداً في سورة سبأ، ومسألة الذرة وتفسيرها تفسيراً علمياً يحمل أكثر بكثير من ذلك، كما فصّل العلماء والمفسّرون في ذلك.

وهذا يعبر من المآخذ على هذا التفسير، وهناك مسائل مشابهة لم يذكر من خلال التفسير.

وهذه المآخذ لا ينقص من قدر هذا التفسير ولا من صاحبه، ولكن كأمانة علمية ولكي نكون منصفين؛ يجب أن نتكلم عن كل ما يتعلق بهذا التفسير إيجاباً وسلباً.

2.2. نماذج من تناول النابلسي للآيات الكونية

1.2.2. نماذج من تفسيره للآيات التي تتحدث عن الأرض والسماء

في منتصف القرن العشرين الميلادي، بدأ الشعوب بالمنافسة العلمية لكي يستكشفون الفضاء وما فيها، وبدأوا بدراسة المجرات والفلك دراسة علمية جديّة، أعطت تحدياً وانطباعاً وتصارعاً بين القوى العالمية للانفراد بهذا العلم الجديد، والغريب في الموضوع أنه كلّما يتقدم العالم في استكشاف الكون؛ زاد إيماننا ويقيننا بأن الذي خلق هذا الكون؛ هو الله الخالق الذي أنزل القرآن على النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–.

وعندما نتحدث عن الكون نقصد بأنه يشمل كل موجود، من أدقّ جُسيم دون ذرّي إلى الحشود المجريّة الفائقة، ولا يعرف أحد من البشر حجم الكون.

في بداية الأمر كان شكل الكون كروية ناريّة، وكان بالغ الكثافة والسخونة، ومكوّنة من غاز يتمدد ويبرد بعد حوالي مليون سنة تقريباً بدأ الغاز يتكثف على الأرجح وفق كتل محلية هي طلائع المجرات، والآن نحن في عام ٢٠٢٠م، وبعد مرور بلايين السنين؛ ما زال الكون مستمر في حالة التمدّد، رغم وجود مواضع تحوي أجساماً مشدودة بعضها الى بعضها الآخر بفعل الجاذبية، كالعديد من المجرات المحتشدة مثلاً.

والى الآن لا يعرف علماء الفلك بعد إذا كان الكون مغلقاً أي أنه قد يتوقف في

آخر الأمر عن التمدد ويبدأ بالتقلص؛ أو مفتوحاً أي أنه سيستمر بالتمدد إلى ما لا نهاية.

في هذا المطلب أذكر نماذج من تفسير النابلسي للآيات التي تتحدث عن الأرض والسماء، وما يتعلق بهما كالجاذبية وعبور الفضاء والرياح.

١- الجاذبية

هناك آيات في القرآن الكريم تتحدث عن الجاذبية:

أ- ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾[٤٢].

ففي هذه الآية تفيد كلمة ترونها أن الله عز وجل رفع السماوات بعمد لا نراها، إنها قوى التجاذب، التي تنظّم الكون كلّه، بدءاً من الذرّة وانتهاءً بالمجرّة.

فالشمس مثلاً تجذب إليها الأرض بقوة هائلة، بحيث تجري الأرض في مسارٍ مغلق حول الشمس، ولو انعدم جذب الشمس للأرض؛ لخرجت الأرض عن مسارها حول الشمس، ولاندفعت في متاهات الفضاء الكونيّ، حيث الظلمة والتجمد، وبانحرافها عن مسارها تزول الحياة فيها، إذ تصل درجة حرارتها الى مئتين وسبعين درجة تحت الصفر، وهي درجة الصفر المطلق التي تنعدم فيها

[٤٢] الرعد: ٢/١٣ .

حركة الذرات.

يشير النابلسي في تفسير هذه الآية أن السماء ليس لها أعمدة محسوسة رفعت عليها، وإنما رفعها خالقها –جل جلاله– بقدرته، ويمثّل لذلك بمثال قميص عرض في محل تجاري، وعلّق هذا القميص بلا خيوط، فالذي يرى هذا القميص يعجب به ويسأل نفسه: كيف علّق بلا خيوط؟ وبعد ذلك يرى خيطاً رقيقاً شفافاً علّق به هذا القميص؛ وهكذا إذا رأى الإنسان أي شيء معلّق بلا خيوط ولا عمود ولا قاعدة، يصيب بالدهشة، فهذه الأشياء لا يحسب شيئاً أمام عظمة وسعة السماوات، فمن رفع هذه السموات؟ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[٤٣]، ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[٤٤]، ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٤٥]، ويعتبر الدكتور النابلسي أن هذا هو أول معنى لتفسير هذه الآية، ومسألة رفع السماء بلا عمد؛ أن الله سبحانه رفعها بقدرته بلا عمد ولا قاعدة، وفي المعنى الثاني يرى المفسّر أن السماء لها أعمدة حقيقية، ولكن نحن لا نراها؛ وكعادته يأتي بمثال لكي يقرّب المعنى الى الذهن، فيمثّل بقطعتين من المغناطيس من نفس الحجم،

---

[٤٣] فاطر: ٣٥/٤١ .

[٤٤] الحج: ٢٢/٦٥ .

[٤٥] الزمر: ٣٩/٦٧ .

ونضعهما على سطح طاولة، ونضع كرة حديدية مستقرة بينهما، بدون أن تنجذب الكرة الى أي من القطعتين، فقبل كل شيء يجب أن نحدد المسافة بين هاتين القطعتين، ثم نقوم بتعيين منتصف المسافة، فلو أن هذه الكرة الحديدية تنحرف وتنجذب ميليمتراً واحداً الى أي جهة؛ لتابعت انجذابها، فهذا الأمر صعب للغاية، مع أن القطعتين من نفس الحجم، فلو كانت القطعتان متفاوتتين في الحجم؛ فهذه تحتاج الى حسابات معقدة جداً، لأن مسألة الإنجذاب له علاقة بالمسافة والكتلة، فكيف لو أردنا أن نضع كرة بين ثلاث قطع متفاوتة الحجم؟ هذا الأمر صعب للغاية، ولو قمنا بتجربة وضع هذه الكرة عمودياً بين كتلتين في الفضاء؛ فهذا يعتبر من المستحيلات، ولو قمنا بتحريك هذه القطع وأردنا أن نجعل الكرة تستقر مع التحريك؛ لكان هذا شيئاً مستحيلاً وعجيباً جداً.

فكيف بهذا الكون الذي كل مجرة منه فيها مليون مليون نجم، وكل نجم له حجم خاص، وله قوة جذب خاصة، وأيضاً له مسار خاص، وطبيعة خاصة؛ فبضعهم طبيعته غازية، وأخرى طبيعته صلبة، وهذا كوكب ملتهب، وذاك كوكب منطفئ؟ فكيف تستقر هذه الكواكب استقراراً حركياً؟ ويعبر هذا من أعظم الإستقرار، لأن إستقرار السكوني سهل جداً، وهو أن تضع كل شيء على الطاولة يستقر، لكن هذه الكواكب تدور بأحجام متفاوتة، ومسارات مختلفة، وطبيعة متغايرة، وقوة جذب غير متساوية؛ فما الذي يجعل أيّ قطعة تسقط؟ فكل شيء على الأرض

ينجذب الى مركزها، وهذه آية من آيات الله تعالى، الدالة على عظمته وقدرته.

ويأتي النابلسي بمثال آخر، وهو ركوب المركبة الفضائية؛ فالذي يصعد الى الفضاء، يصل أولاً في الفضاء بين الأرض والسماء، الى نقطة تسمى (نقطة انعدام الجاذبية)؛ إذ يصبح كل شيء بلا وزن، فتمسك أي شيء يبقى في مكانه ولا يسقط، حتى لو كان هذا الشيء ثقيلاً، لذا يعتبر إرتباط الأشياء بالأرض، من نعم الله تعالى، قال سبحانه: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾[٤٦]، أي: مَن جعل الأشياء تستقر عليها؟ أليس الله سبحانه وتعالى الذي أعطاه قوّة الجذب؟ فهذه العَمَد هي قوى التجاذب بين الكواكب؛ أي: قوة الجاذبيّة[٤٧].

ب- ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[٤٨].

أي يمسك السماء بقدرته كي لا تقع على الأرض إلا بإذنه، وقوله (أن تقع) أي: لا تقع[٤٩].

ويقول ابن كثير –رحمه الله–: لو شاء لأذن للسماء فسقطت على الأرض، فهلك من فيها، ولكن من لطفه ورحمته وقدرته يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا

---

[٤٦] النمل: ٦١/٢٧ .

[٤٧] النابلسي، **تفسير النابلسي**، ٢٣٧/٦-٢٣٨ .

[٤٨] الحج: ٦٥/٢٢ .

[٤٩] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ٦٧٨/١٨ .

بإذنه[٥٠].

ويقول أبو منصور الماتريدي: أي: يمسك السماء لا بالأسباب ولا بالأشياء التي تمسك الأشياء في الشاهد[٥١].

وجاء في تفسير النابلسي أن الله –جل جلاله– جعل فوق الأرض كتلة هوائية، سمكها يزيد على خمسة وستين ألف كيلو متر، وهذه الكتلة الهوائية لها طبقات، تصل حرارة بعضها الى ألف وخمس مائة درجة، حتى إن كل جسم ساقط على الأرض بحكم الجاذبية؛ يصبح شهاباً بسبب حرارة هذه الطبقة، وهذا هو تفسير ظاهرة سقوط الشهب، فهي أصلاً عبارة عن أحجار كبيرة الحجم، وكذلك النيازك والكويكبات التي بين حين وأخرى تسقط باتجاه الأرض، فعندما تمرّ بهذه المنطقة، تصبح رماداً لا يُرى إلا بالمجهر، وربنا –عزّ وجل– جعل السماء سقفاً محفوظا كما يقول في سورة الأنبياء: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾[٥٢]، وبهذ الطريقة يحول بينها وبين سقوطها حجارة، فلولا وجود هذه الطبقة الحارّة؛ لرُجمت الأرض بالأحجار الكبيرة والكويكبات والنيازك وغير ذلك، وهذه من أعظم نعم الله تعالى علينا.

وأحياناً يأذن الله لنيزك من النيازك أن يصل الى الأض، فيسقط في مكان ما،

---

[٥٠] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ٤٥١/٥ .

[٥١] الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، ٤٣٨/٧ .

[٥٢] الأنبياء: ٣٢/٢١ .

هذا لكي نعرف نعمة الله تعالى في حجز هذه الكويكبات والأحجار الممتلئة، التي تملأ الفضاء الخارجي، كما أن من نعم الله تعالى علينا وجود طبقة الأوزون، وهي تمنع الأشعة القاتلة، وهذا من حفظ الله –سبحانه– للأرض، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾[٥٣]، أي: لا يقع شيء إلا أن يأذن الله لبعض النيازك فتصل إلى الأرض[٥٤].

ت– ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[٥٥].

أي: إن الله يمسك السموات والأرض لكي لا تزولا، فيمنعهما –سبحانه وتعالى– من الوقوع والزوال، وكان من الجدير أن تزولا وتقعا على رؤوس المشركين، وقد أهمتا بالوقوع والزوال لولا حلم الله تعالى وغفرانه[٥٦].

قال قتادة: (إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا) من مكانهما[٥٧].

فالشرك والكفر مجلبان وموجبان لأنواع النقم والعذاب، الى أن وصل الأمر بأن السماوات والأرض همتا أن تقعا على الكفار والمشركين، انتقاماً من شركهم وكفرهم.

---

[٥٣] الأنبياء: ٣٢/٢١ .

[٥٤] النابلسي، **تفسير النابلسي**، ٥٥٧/٧ .

[٥٥] فاطر: ٤١/٣٥ .

[٥٦] الخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، ٤٥٩/٣ .

[٥٧] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ٤٨١/٢٠ .

ويرى محمد راتب أن هذه الآية تعتبر من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، فعبّر عن الكون بالسماوات والأرض، والكون هو ما سوى الله –سبحانه– والله تعالى واجب الوجود، وما سواه ممكن الوجود.

ثم جاء بمثال في البحوثات العلمية المتعلقة بالفلك؛ فقد ظهر أن المجرات يقترب عدده مليون مليون مجرّة، ونجوم المجرة المتوسط؛ يقترب عددها من مليون مليون، وهذه المسارات جميعها تتحرك في مسارات مغلقة؛ لكي تنشأ من تحرّكها قوة نابذة تكافيء القوة الجاذبية، فلولا حركة اجرام الكون؛ لانضم الكون بعضه الى بعض، ولأصبح كله كتلة واحدة، لكنها تتتحرك في السماء باستمرار وفي خط مغلق غير مفتوح.

وهناك أعمدة بين الأرض والسماء، ولكننا لا يمكن أن نرى هذه الاعمدة، فلو أن الشمس توقفت لحظة والحدة عن جذب الأرض؛ كان لابدّ للأرض أن تزول عن سيرها، وتبتعد بذلك عن مسارها الحقيقي، وتستمر في متاهات الفضاء الخارجي، وإذا ابتعدت الشمس عن الأرض؛ أصبحت حرارتها –بتقدير العلماء– مائتين وسبعون درجة تحت الصفر، وهذا ما يسميه علماء الفيزيا بالصفر المطلق، وتصبح الأرض كوكباً جليدياً متجمّداً[٥٨].

---

[٥٨] النابلسي، **تفسير النابلسي**، ٣٠٣/١٠ .

٢- عبور الفضاء

وهناك آيات تتحدث عن عبور الفضاء؛ منها:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٥٩].

فسّر النابلسي هذه الآية بتفسير علمي، فأتى بمثال عقلي، وهو أن القمر الذي يعدّ هو والأرض ككوكب واحد؛ يبعد عنّا ثانية ضوئية فقط، وعندما أرادوا الوصول الى القمر، صعدوا في مركبة فائقة السرعة، فبقيت هذه المركبة ثلاثة أيام بلياليها، منطلقة بأقصى سرعة ركبها الإنسان، فكانت السرعة أربعين ألف ميل في الساعة الواحدة!

فالطائرة الحديثة جداً، يبلغ سرعتها ألف ميل في الساعة، وبعضها يصل الى ستمائة وتسعمائة، وأما المركبة المذكورة فكان سرعتها أربعين ألفاً في الساعة، ومع ذلك احتاجت الرحلة الى ثلاثة أيام.

أما النبي –صلى الله عليه وسلم– فقد أُسري به من مكة إل بيت المقدس، ثم الى السماوات العلا، ذهاباً ورجوعاً، وكان فراشه لا يزال ساخناً!

لقد عُطّلت قوانين المكان، ولا يستطيع أن يفعل هذا إلا ربّ العالمين[٦٠].

---

[٥٩] الإسراء: ١/١٧ .

[٦٠] النابلسي، **تفسير النابلسي**، ٨/٧ .

2.2.2. نماذج من تفسيره للآيات التي تتحدث عن البحار والأنهار.

عندما ننظر الى كوكب الأرض من الفضاء الخارجي، نراه أزرق اللون، لأن الماء يكتسح وجه الأرض بنسبة تصل الى ٧٠%، ويعتبر كوكب الأرض أغنى كواكب المجموعة الشمسية بالماء، لذا يسميه العلماء بكوكب الماء، والماء هو المادة التي لا ستطيع الإنسان أن يعيش بدونها أبداً.

إن الحياة على وجه الأرض سواء حياة الإنسان أو حياة الحيوانات أو حياة النباتات؛ قائمة على الماء، فالماء هو الوسيط الوحيد بين حياة جميع الكائنات الحية، ولولا وجود الماء لما كان على وجه الأرض حياة، وهو أصل الحياة، يقول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[٦١]، أي: أصل كل الأحياء منه[٦٢].

وامتن الله –عز وجل– على المؤمنين أن أنزل عليهم الماء الذي فيه قوام حياتهم، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٦٣].

ونزول الماء من السماء وإحياء الأرض بعد موتها؛ هو دليل وآية على وجود الله

---

[٦١] الأنبياء: ٣٠/٢١ .

[٦٢] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الرياض، ط: ٢، ١٩٩٩م، ٢٩٨/٥ .

[٦٣] النحل: ١٠/١٦-١١ .

تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٦٤].

هناك آيات في القرآن الكريم تتحدث عن البحار:

١- تسخير البحار:

يقول الله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٦٥]، وتسخيره إياه لنا: هو ما بذل للخلق ما فيه من أنواع الأموال التي خلق الله فيه: من الحلى والجوهر واللؤلؤ، وبذل ما فيه من الدواب: السمك وغيره، فلولا تسخير الله إياه للخلق؛ وتعليمه إياهم الحيل التي بها يوصل إلى ما فيه من الأموال النفيسة؛ وإلا ما قدروا على استخراج ما فيه والوصول إليه؛ لشدة أهواله وأفزاعه[٦٦].

تشغَل البحار والمحيطات حيّزاً كبيراً من سطح الأرض، يبلغ نحو ثلاثة أرباعه

---

[٦٤] البقرة: ١٦٤/١ .

[٦٥] النحل: ١٤/١٦ .

[٦٦] الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود، **تأويلات أهل السنة**، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م، ٤٨٥/٦ .

كما ذكرت في بداية المطلب.

والبحار له قوة انعكاس جيّدة للإشعاع الشمسي، لذلك فإن درجة الحرارة في البحر لا ترتفع كثيراً في النهار، ولا تنخفض كثيراً في الليل، وغالباً يكون الاختلاف بين حرارة الليل والنهار درجتين فقط.

ودلّت الأبحاث العلمية أن أقصى أعماق البحر تعادل أقصى علوّ الجبال، وقد صرّح الكابتن (Jacques-Yves Cousteau) مكتشف أعماق البحر ومخترع جهاز الغوص-الرئة المائية، في أوائل سنة ١٩٥٦م بأنه تمكن من إلتقاط بعض الصور في أعماق البحر وبالتحديد في عمق (٢٥٠٨٠) قدماً، وصرّح بأنه اكتشف ألواناً جديدة من الحياة، ومن خلال الصور التي إلتقطه تبين أن قاع المحيط ليس منبسطاً كما كان مفهوماً من قبل[٦٧].

يقول محمد النابلسي في تفسيره للآية السابقة: البحر أربعة أخماس اليابسة، وعمق خليج مريانة في المحيط الهادي اثنا عشر ألف متر، ولو أن كرة قطرها متر واحد، وأردنا أن نمثّل عليها أعلة إرتفاع عن سطح الأرض، وأقل انخفاض في البحر؛ لما أمكننا أن يكون هذا التمثيل إلا في سنتيمتر واحد، فأعلى منطقة في الأرض نصف سنتيمتر، وأعمق نقطة في البحر نصف سنتيمتر آخر، ولو أن الكتلة الثلجية ذابت في القطب الشمال أو الجنوبي بسبب إنفجار في الشمس؛

---

[٦٧] عبد الله، علي محمد، **البحار والمحيطات أسرار وكنوز في الأعماق**، وكالة الصحافة العربية، الجيزة، مصر، ط١، ٢٠١٣م، ص: ١١ .

لارتفع البحر تسعين متراً، فيغرق معظم المدن الساحلية، وكثيراً من المدن الجبلية[٦٨].

وهذه الآية أيضاً دليل على أن الله سخّر للإنسان البحر وما في البحر بأكملها؛ هناك ملايين من أنواع السمك، إبتداءً من الأسماك الصغيرة في الأحواض، وانتهاء بأعظم أنواع الحيتان في البحر التي قد توزن واحد منها بمئة وثلاثين طناً، كل هذه الأسماك مسخّر للإنسان، فهناك أسماك شفافة وأخرى ملونة وأخرى أسود وأخرى أبيض، هناك أسماك للزينة فقط وهناك أسماك للأكل فقط، وهناك أحجام كبير وهناك أسماك صغيرة، وأيضاً هناك ملايين من الحيوانات البحرية يعيشون في البحر، وسخّرها الله للإنسان.

قال تعالى: ﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾[٦٩]، فما وُصِفَ لحم بأنه طري إلا السمك، والسمك لحمه فيه فوائد كثيرة للأمراض الذي يصيب الإنسان.

وأيضاً يقول الله تعالى في نفس الآية: ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾[٧٠]، فاللؤلؤ من أثمن المعادن في الدنيا، واللؤلؤ من أعجب ما في البحر، هي داخل صدفة من المواد القاسية والصلبة لكي تقيه من المخاطر واللؤلؤ يلبسها النساء كحلي للزينة.

---

[٦٨] النابلسي، **تفسير النابلسي**، ٤٩٥/٦.

[٦٩] النحل: ١٤/١٦ .

[٧٠] النحل: ١٤/١٦ .

ويقول عز وجل: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾[٧١]، ، فالماء له قوة نحو الأعلى، ولولا هذه القوة لما كان البحر طريقاً دولياً بين القارات، لذلك نرى السفن والعبارات وغيرهم صنعوا من خشب وحديد، وعليهم أوزان ثقيلة جداً، هناك باخرات توزن بمليون طن، ومع هذا يسيرون فوق البحار والمحيطات، فهذا من معاني هذه الآية الكريمة.

٢- ظلمات البحار:

يقول الله جل وعلا: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾[٧٢].

يقول الإمام القرطبي في تفسيره لهذه الآية: "المراد بهذه الظلمات ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة الليل وظلمة البحر، فلا يبصر مَن كان في هذه الظلمات شيئاً"[٧٣].

اكتشف العلماء حديثاً أن البحار والمحيطات مغطاة بسحب ركامية كثيفة، هذه السحب تحجب عن البحار والمحيطات كثيراً من ضوء الشمس.

---

[٧١] النحل: ١٤/١٦ .

[٧٢] النور: ٤٠/٢٤ .

[٧٣] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ٢٨٥/١٢ .

وأيضاً اكتشفوا متأخراً أن مياه البحر تمتص تدريجياً ألوان الطيف الضوئي كلما زادت هذه الألوان تعمقاً في البحر، فتنشأ مستويات عالية من الظلمات داخل هذه البحار، والظلام يشتد بعد عمق (١٠٠٠) متر، يصل إلى درجة أن الإنسان إذا أخرج يده في هذا العمق من البحر؛ لا يرى يده من شدة الظلام[٧٤].

وإخفاء الألوان في عمق البحر اكتشفه علماء البحار في القرن العشرين، وهذه الظاهرة العجيبة لا تحدث إلا في البحار العميقة، ففي عمق (٥) أمتار يختفي اللون الأحمر، وإذا وصل الى (٣٠) متراً يختفي اللون البرتقالي ويبدأ ظلام جديد، وإذا وصل إلى (٥٠) متراً من العمق تبدأ إختفاء اللون الأصفر، وإذا وصل العمق إلى (١٠٠) متر يختفي اللون الأخضر، وفي مسافة (٢٠٠) متر يبدأ اللون الأزرق بالإختفاء، وفي عمق (٥٠٠) متر لا يوجد لون إلا الأسود، وإذا أخرج الغواص يده فلا يرى إلا سواد مثل الظل ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾[٧٥]، فالتعبير القرآني دقيق جداً؛ فلم يقل (لم يرها)، بل قال ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾ أي ما زالت هناك رؤية ولكنها سوداء[٧٦].

يقول النابلسي في تفسيره لهذه الآية:

---

[٧٤] شحاتة، حسن أحمد، **معجزات السماء من آيات الله في الكون**، الأكاديمية العلمية للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠١٤م.

[٧٥] النور: ٢٤/٤٠ .

[٧٦] أحمد، يوسف الحاج، **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهّرة**، مكتبة ابن حجر، دمشق، ط:٢، ١٤٢٤هـ، ص: ٤٤٤؛ النجار، زغلول راغب محمد، **من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم**، تحقيق: أحمد فرّاج، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط:١٣، ١٤٢٩هـ.

المعروف أن في البحر أمواجاً سطحية على سطح البحر، ولكن لم يكن أحد يعرف أن في البحر أمواجاً داخلية حتى عام ١٩٠٠م، فالله سبحانه وتعالى بيّن في هذه الآية أن في البحار أمواجاً سطحية وأمواجاً داخلية، وكما أن الأمواج السطحية تدفع السابح إلى جهة ما؛ كذلك الأمواج الداخلية العميقة.

٣- الحواجز المائية:

يقول الله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾[٧٧].

وقال عز وجل: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾[٧٨].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾[٧٩].

قال الإمام اللغوي ابن منظور في كتابه (لسان العرب): إن كلمة (مرج) له معنيان في اللغة: الأول: بمعنى الخلط، والثاني: بمعنى مجيء وذهاب واضطرابات[٨٠].

وقال ابن فارس في (معجم مقاييس اللغة): الميم والراء والجيم، أصل صحيح يدلّ

---

[٧٧] الرحمن: ٦٢/١٩-٢٢ .

[٧٨] النمل: ٢٧/٦١ .

[٧٩] الفرقان: ٢٥/٥٣ .

[٨٠] ابن منظور، **لسان العرب**، ٢/٣٦٤ .

على مجيء وذهاب واضطرابات[٨١].

وذهب أكثر المفسرين إلى أن الحاجز الذي يفصل بين البحرين المذكورين في القرآن الكريم هو حاجز من قدرة الله تعالى، لا يُرى بالعين، قال الإمام ابن الجوزي عن البرزخ بين البحرين: "هو مانع من قدرة الله تعالى لا يراه أحد"[٨٢]، وقال بذلك أيضاً الزمخشري في (الكشاف)[٨٣]، والقرطبي في تفسيره[٨٤]، والبقاعي في (نظم الدرر)[٨٥].

لقد اكتشف العلماء في الأربعينيات القرن الماضي أن البحار المالحة تختلف عن باقي البحار من حيث الخصائص والتركيب، وقاموا بتحليل عينات من مياه البحار، فقاسوا الفروقات في نسبة الملوحة ودرجات الحرارة ومقدار ذوبان الاكسجين ومقدار الكثافة، قاموا بهذا التحليل في مياه البحار والمحيطات، فأدركوا أن البحار مختلفة تماماً، ثم بعد ذلك توصلوا إلى اكتشاف وجود الحواجز والبرازخ المائية بين البحار، وكان هذا الحاجز بين بحرين مالحين وأخرى بين نهر عذب

---

[٨١] ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق، سوريا، ط٣، ١٩٧٩م، ٣١٥/٥ .

[٨٢] ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج بن محمد الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ص: ٣٢٥/٣ .

[٨٣] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ، ص: ٢٨٦/٣-٢٨٧ .

[٨٤] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الانصاري الخزرجي، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني و إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م، ٥٨/١٣ .

[٨٥] البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط:١، ١٤٠٤هـ، ص: ٤٠٧/١٣ .

وبحر مالح.

يقول النابلسي في تفسيره لآية ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾[٨٦]:

هذه الآية وقف عندها المفسّرون وقفات طويلة، وحاروا بها، فأين هذا البرزخ الذي بين البحرين؟ بعض العلماء صوّروا البحار من سفن الفضاء، فإذا بين كل بحرين خط، فبين البحر الأحمر والبحر الهندي خط، وبين البحر الأبيض والبحر الأسود خط، وهذا الخط يكون عند اتصال البحرين وهو متحرك مرن، فما هذا الخط؟ اكتشف أن مياه كل بحر لها مكونات، ولها كثافة، ولها درجة ملوحة، ولها درجة حرارة، فمياه كل بحر لا تطغي على البحر الآخر، وهذا هو معنى البرزخ، وهو ما يمنع كل ماء أن يطغى على الآخر[٨٧].

---

[٨٦] الفرقان: ٥٣/٢٥ .

[٨٧] النابلسي، **تفسير النابلسي**، ٢٩٣/٨ .

3.2.2. نماذج من تفسيره للآيات التي تتحدث عن الظواهر الكونية[٨٨].

الظواهر الكونية: هي الظواهر التي ليس للإنسان أي دور في حدوثها، والتي غالباً ما تكون مفاجئة يفوق قدرة وإمكانيات قوات التدخل المحلية، مخلفة عدداً كبيراً من الموتى، ومسببة لخسائر فادحة، إما بسبب الإهمال أو عدم اتخاذ الإحتياطات الوقائية المناسبة لتفادي تلك الآثار الضارة، وهنا يحدث اختلال واضح في النظام الاجتماعي والاقتصادي.[٨٩]

وهو تأثير سريع وفجائي للبيئة الطبيعية على النظم الإجتماعية والإقتصادية، وهو أيضاً مجموعة من النشاطات العنيفة المتشددة، التي تحدث بشكل مفاجيء، فلا يسمح للإنسان أن يأخذ الإحتياطات اللازمة للتخفيف من آثارها المدمرة[٩٠].

وتعدّ الظواهر الكونية مثل الزلازل والفيضانات والأعاصير والرياح من أحد مظاهر الحياة لهذا الكوكب (الأرض)، والنظام الطبيعي المربوط به، وبالرغم من أن بعض الظواهر الكونية قد يحدث في ثوان قليلة كما هو الحال في الزلزال؛ إلا

---

[٨٨] استخدمت في بحثي مصطلح (الظواهر الكونية)، لأن لدي ملاحظة على تعبير (الكوارث الطبيعية)، فالطبيعة لا تتحكم، بل الظواهر الطبيعية أو الكوارث الطبيعية أو الكوارث الكونية؛ كلها بيد الله عز وجل، وبتقدير من الله تعالى، لذا فإن مصطلح (الظواهر الكونية) أكثر صواباً من (الكوارث الطبيعية)، ولكن غالباً ما يُستخدم مصطلح (الكوارث الطبيعية)، ولكنني في هذا البحث استخدمت مصطلح (الظواهر الكونية) لأنني أعتقد بأنه لا يوجد للطبيعة أي تأثير في الكون.

[٨٩] أبكر، آدم عبد بنات، **الكوارث الطبيعية في القرآن الكريم**، مجلة الجزيرة للعلوم التربوية والإنسانية، الخرطوم، السودان، مجلد: ١٣، عدد: ١، ١٤٣٧هـ.

[٩٠] محمد صبري-محمد إبراهيم، **الأخطار والكوارث الطبيعية**، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط:١، ١٤١٩هـ، ص: ٣٧ .

أن تأثيراتها تكون سلبية على الإنسان وممتلكاته.

ونقصد بالظواهر الكونية: الزلازل والطوفان والإعصارات والبراكين والرياح والكسوف والخسوف.

١ – الزلزال:

الزلازل هي هزات سريعة قصيرة المدى في قشرة الأرض تنتج عن حدوث التفاعلات النووية في باطن الأرض ونتيجة المحورية للأرض[٩١].

وبعض العلماء يفسّرون حدوث الزلزلة بأنها حركة في باطن الأرض، حيث ينشأ عنها ضغط هائل، فلا تحتمل قشرة الأرض هذا الضغط، عندئذ تتصدّع قشرة الأرض، وهذا التصدّع في قشرة الأرض هو الزلزال الذي يحدث بين حين وأخرى هنا وهناك، مع أن هذه القشرة سمكها يزيد على نحو تسعين كيلو متراً، وهذه القشرة متكونة من أقسى وأقوى أنواع الصخور، ومع هذه القوة والمتانة؛ تتصدع ويحدث الزلزال[٩٢].

والآن وفي القرن الحادي والعشرون، ومع التقدم العلمي، ووجود الأجهزة المتطورة؛ فلا يستطيع أحد من العلماء أن يتنبأ بحدوث الزلزال، ولو قبل وقوعه

---

[٩١] الصوفي، ماهر أحمد، **آيات الله في الرياح والمطر والأعاصير والبراكين والزلازل**، المكتبة العصرية، بيروت، ط: ١، ٢٠٠٧م، ص: ١٧٧ .

[٩٢] النابلسي، محمد راتب، **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة آيات الله في الآفاق**، دار المكتبي، دمشق، ط:٢، ٢٠٠٥م، ص: ١٦٣ .

بلحظة واحدة، فالزلزال يحدث فجأة.

وفي القرآن الكريم هناك آيتين تتحدث عن الزلازل:

١- ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾[٩٣].

لم يتطرق محمد النابلسي إلى التفسير العلمي في تفسيره لهذه الآية، إلا إنها تحدث عن تعريف الزلزلة، فقال: الزلزلة هي الاهتزاز الشديد الذي يغيّر كل شيء عن موقعه[٩٤]، وتحدث عن عظمة الزلازل، وإنها تدمّر البلاد باكملها وتودي بحياة المئات والآلاف من البشر والحيوانات.

٢- وفي الجزء الأخير من القرآن الكريم توجد سورة باسم (الزلزلة)، فيقول الله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾[٩٥].

يقول النابلسي في تفسيره لهذه السورة:

الأصل في الأرض أنها مستقرة، فهي تدور حول الشمس بسرعة ثلاثين كيلومتراً في الثانية الواحدة، فأحدنا يجلس في مجلس ساعة، والساعة ستون دقيقة، والدقيقة ستون ثانية، فستون تضرب في ستين، ثلاثة آلاف وست مئة، فتضرب في ثلاثين؛ أي: مئة ألف وثمانية آلاف كيلو متر، هذا ما قطعته الأرض في

---

[٩٣] الحج، ١/٢٢ .

[٩٤] النابلسي، محمد راتب، **تفسير النابلسي**، ٤٨٣/٧ .

[٩٥] الزلزلة، ١/٩٩-٥ .

مجلس واحد، وهذه الحقيقة تحصل ونحن في أدق استقرار، فالجدران كلها قائمة رغم هذه السرعة في مسار الأرض[٩٦].

ويقول أيضاً: مهما وقع في الأرض من زلازل؛ فإنها تبقى محدودة، في مكان محدود، ولها نتائج محدودة، يقال: ضحايا الزلزال مئة ألف، والمشردون أربع مئة ألف، ويبقى الزلزال محدوداً بمكان محدد وزمان محدد وآثار محددة، ولكن هناك زلزالاً يصيب الأرض كلها بكل قاراتها، وذلك ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾[٩٧]، يعني: زلزالها الأخير، أو زلزالها الكبير، أو زلزالها العظيم، الزلزال الذي وعد الله به، وبه نهاية العالم[٩٨].

---

[٩٦] النابلسي، محمد راتب، **تفسير النابلسي**، ١٤/٣٣٥ .

[٩٧] الزلزلة، ٩٩/١ .

[٩٨] النابلسي، محمد راتب، **تفسير النابلسي**، ١٤/٣٣٧ .

٢- الكسوف والخسوف

إن من آيات الله الباهرة في الشمس والقمر، ما يجريه عليهما من الخسوف والكسوف؛ وهو ذهاب ضوئهما، وزوال جمالهما وبهائهما، واضمحلال سلطانهما، فالكسوف والخسوف مع أنهما ظاهرتان من الظاهرات الكونية؛ في نفس الوقت آيتان عظيمتان من آيات الله تعالى، تخويفاً لعباده؛ فقد كسفت الشمس على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وظن الناس أن هذه الواقعة حدث بسبب وفاة إبراهيم إبن النبي -صلى الله عليه وسلم-، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((إن الشمس والقمر لا يكسفان لموت أحد، ولا لحياته؛ ولكنهما من آيات الله، يخوّف الله بهما عباده))[٩٩].

والكسوف هو ظاهرة غياب الشمس، والخسوف هو ظاهرة غياب القمر.

كسوف الشمس هي ظاهرة فلكية تحدث عندما تكون الأرض والشمس والقمر على خط واحد، ويكون القمر منتصفاً بين الأرض والشمس.

ويحدث خسوف القمر عندما يدخل القمر كله منطقة ظل الأرض، ففي هذه

---

[٩٩] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي، **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، جدة، ط:١، ١٤٢٢هـ، أبواب الكسوف (١٠٤٨)، ٢/٣٦؛ مسلم، أبو الحسن القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، د.ت، كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف (٩٠١)، ٢/٦٢٠؛ ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي الظاهري، **المحلى بالآثار**، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤٢٥هـ، صلاة الكسوف (٥٥٥)، ٣/٣١١؛ الإشبيلي، عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الأندلسي الملقب بابن الخراط، **الأحكام الشرعية الصغرى**، تحقيق: أم محمد بنت أحمد الهليس، مكتبة العلم، جدة، ط:١، ١٤١٣هـ، كتاب: الصلاة، باب: صلاة الكسوف، ١/٣٠٧ .

الحالة ينخسف قرص القمر كاملاً وتكون الشمس والأرض والقمر جميعهم على امتداد واحد، وتتوسط الأرض بين الشمس والقمر، مما يحجب أشعة الشمس عن القمر، والخسوف لا يقع إلا عندما يكون القمر بدراً.

ففي القرآن الكريم توجد آية واحدة فيها إشارة صريحة الى الخسوف؛ فيقول الله تعالى: ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾[١٠٠]، أي: ذهب نوره وانقلب ظهوره[١٠١].

يقول النابلسي: وخسف القمر؛ يعني: غيابه كلياً، فهذا هو الخسوف، أما إذا غاب جزئياً؛ فهو الكسوف، وقد يظهر الكسوف من حين لآخر عندما تأتي الأرض بين الشمس والقمر، ويوم القيامة يجمع بين الشمس والقمر في ذهاب ضوئهما، أو يُقرن بينهما في طلوعهما من المغرب أسودَين مظلمين مكوَّرين مُقْرَنَيْن، كأنهما ثوران عقيران، فلا يكون تعاقب ليل ولا نهار، وهذا يعني: أن النظام القائم مستمر إلى حين[١٠٢].

٣- دوران الأرض:

الدكتور النابلسي يرى بأن للأرض اثنتي عشرة دورة، وذكر في تفسيره بعضاً منها:

---

[١٠٠] القيامة: ٨/٧٥ .

[١٠١] القاري، ملا علي نور الدين علي بن سلطان الهروي المكي الحنفي، **أنوار القرآن وأسرار الفرقان**، تحقيق: ناجي السويد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٣م، ٢٤٦/٥ .

[١٠٢] النابلسي، محمد راتب، **تفسير النابلسي**، ٥٢٢/١٣ .

١. دورة الأرض حول نفسها: فهي تدور حول نفسها بسرعة تزيد على ألف وست مائة كيلومتر في الساعة، وهي بحجم كبير تدور حول نفسها في ثلاث وعشرين ساعة، وست وخمسين دقيقة، وأربع ثوان، وخمسة وتسعين جزءاً من ألف من الثانية، وهذا الرقم دقيق لا يزيد ولا ينقص.

٢. دورة الأرض حول الشمس: وسرعة الأرض حول الشمس ثلاثون كيلومتراً في الثانية، وتدور الارض دورة حول الشمس في ثلاث مائة وخمسة وستين يوماً، ومئتين وستة وخمسين جزءاً من ألف.

٣. وللأرض حركة ثالثة والشمس ماشية في درب التبّانة، وحركة الشمس معها مئتان وأربعون كيلومتراً بالثانية، يقول الله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[١٠٣]، وهذه هي الدورة الثالثة.

٤. دورة الأرض حول محور وهمي: فالأرض محور مائل، وهذا المحور المائل يدور حول نفسه دورة كل خمسة وعشرين ألف سنة، فتحدث حينئذ انتقال خطوط المطر، وتبدّل حالة الجو في العالم، وتغير الخصب، والنماء، والتصحّر، وما إلى ذلك، لذا فقد قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: ((لا تقوم الساعة تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً))[١٠٤].

---

[١٠٣] يس: ٣٦/٣٨ .

[١٠٤] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب: الزكاة، باب: الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها، (١٥٧) ٢/٧٠١؛ الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، د.ط، ١٤١٤هـ، كتاب الفتن، باب ثان في أمارات الساعة (١٢٤٧١)،

وهكذا فالنابلسي يؤمن بدوران الأرض، ويعتقد بأن للأرض دورات يقرب من اثنتي عشرة دورة[١٠٥].

٣٣١/٧؛ أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤٠٩هـ، ١٤١/٧ .

[١٠٥] النابلسي، **تفسير النابلسي**، ٥٦٩/٨-٥٧٠ .

4.2.2. نماذج من تفسيره للآيات التي تتحدث عن حقائق كونية

هناك آيات في القرآن الكريم تتحدث عن حقائق كونية؛ منها:

١- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَآءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [١٠٦].

في هذه الآية الكريمة يقول النابلسي في تفسيرها:

فهذا الكون بمجراته وبسماواته وبأرضه وبأسماكه وبأطياره وبحيواناته وبنباتاته وبخلق الإنسان وبأجهزته وبأعضائه وبحواسه؛ ينطق بعلم الله، فإن اقتنيت جهازاً بالغ التعقيد ثم رأيت الذي اخترعه؛ فإنك تقف أمامه بإجلال لا حدود له، لأنك تعلم أن عالم كبير، وعبقريٌّ فذّ، فكلما دقّقت في آيات الله تعالى وفي خلقه وفي مخلوقاته؛ عرفت أن الله عليم.

وهو الذي خلق للإنسان كل ما يحتاجه، وهو عليم باحتياجاتنا، فكل احتياجات الإنسان موفّرة على سطح الأرض، فخلق لنا حاجة الى الهواء، وخلق الهواء، وجعل الهواء متوازناً، أوكسجين وهيدروجين، والنسب متوازنة، ونحن بحاجة الى الماء، إذاً الأرض تحوي مسطّحات مائية كبيرة جداً، وأشعة الشمس تبخّر هذا الماء، والماء من خصائصه التبخّر، ثم يكون هذا البخار سحاباً، وهذا السحاب ركاماً، ثم يُساق إلى بلدٍ ميّت، فيحيي الله به الأرض بعد موتها، والآلية معقّدة

---

[١٠٦] البقرة: ٢٩/٢

جداً، هناك من يدرس في الجامعات سنوات وسنوات لكي يتعلم كيف تنزل الأمطار، وخلق البحار ملحاً أجاجاً، وخلق الأنهار عذباً فراتاً، وخلقه في الينابيع، فهذا كله من خلق الله عزّ وجلّ، فخلق لنا حاجاتٍ عالية الدقّة، وقد لبّيت في أعلى درجة.

وأيضاً هناك حاجة إلى لحم نأكله، وعلى الأرض ستة مليارات وست مئة مليون إنسان، إذاً هناك المواشي والأنعام التي تتوالد، فلو أن هذه الأنعام تأكل اكثر مما تعطي؛ لم يربّها أحد، فلابدّ من أن تكون في تربيتها جدوى إقتصادية، فتطعمها بعشرة، فتعطيك مئة، إذاً تربى وتقتنى ويعتنى بها، وهناك أمثلة كثيرة جداً على توفير احتياجات الإنسان على وجه الأرض.

ومن جانب آخر؛ فالله سبحانه خلق الإنسان لكي يتأقلم مع كل زمان ومكان، وسخّر له ما السماء والأرض لكي يوفر حاجاته في كل مكان وزمان.

إذا نظرنا الى سيارة صنعت في عام ألف وتسعمئة، وهي الآن موجودة في المتاحف؛ نرى أن عجلاتها ليس فيها هواء، صماء، وليس فيها أجهزة إمتصاص صدمات، وليس فيها تحديد السرعة، والإضاءة فيها من فانوس يشعل ليلاً بالكبريت والزيت، فهي سيارة بدائية، ثم ننظر الى سيارة جديدة صنعت في عام ألفين، من أرقى أنواع السيارة، نرى كم البون شاسعاً بين سيارة صنعت عام ألف تسعمئة وسيارة صنعت عام ألفين، إنها خبرة الإنسان التي تتنامى، فالإنسان

خبرته حادثة، تنمو بالخطأ والصواب، فهل طرأ على الإنسان المخلوق تطوير؟ هل هناك إنسان من نوع عام ألفين وإنسان من نوع ألف وتسعمئة؟ هل طرأ على الإنسان منذ أن خلقه الله تعديل؟ فمعنى ذلك ان خبرة الله قديمة.

٢- ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ [١٠٧].

ويقول في تفسير هذه الآية:

كل شيء تسمعونه عن اختراع واكتشاف وقفزة في عالم المجهول؛ هذا كله مما سمح الله به، قال الله تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[١٠٨]، فعُزي صنع الطائرة إلى الله، فهو الذي ألهم الإنسان صنع الطائرة، وألهم الإنسان اكتشاف وقودها، فإذاً كل شيء يفعله الإنسان هو من إلهام الله له.

والآن قد ينقلون الصورة والصوت من قارة الى قارة، وهذا ما سمح الله به، واخترعوا مركبة وأرسلوها إلى الفضاء، وغاصوا في البحار، واخترعوا أجهزة حديثة متطورة، وكل شيء مما نسمعه من كشف علميّ واختراع وتفوّق؛ فهذا كله مما سمح الله به، وكل شيء علمه الإنسان هو مما سمح الله به، وانتهى الأمر، ويقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[١٠٩].

---

[١٠٧] البقرة: ٢/٢٥٥ .

[١٠٨] النحل: ١٦/٨ .

[١٠٩] الإسراء: ١٧/٨٥ .

٣- ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [١١٠].

من منا لا يأكل؟ هل فكّرنا في مائدة الطعام التي توضع أمامنا يومياً ثلاث مرات؟ وهل فكّرنا في كأس الماء؟ فلا قيمة للبيوت الفارهة والقصور الفخمة لو لم يكن فيها ماء، ولا قيمة لهذه الطوابق العليا لو أن سنوات القحط والجفاف استمرت، وكذا هذا الخبز الذي نأكله، هل تعلم أن القمح غذاء كامل للإنسان؟ ما هذا التوافق بين بنية القمح وبين بنية الجسم؟ والحليب الذي نشربه غذاء كامل أيضاً، فمن جعل هذا التوافق بين الحليب وحاجة الجسم؟ ومن سخّر لنا هذا اللحم الذي نأكله؟ ومن زرع لنا تلك الخضروات التي نأكلها؟ قال تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [١١١]، فأنت تلقي الحبة وتذهب الى البيت، فمن يسقّ الحبة عن الرشيم؟ وكيف ينمو هذا الرشيم؟ وكيف تنبت الأوراق؟ وكيف تظهر الأزهار؟ وكيف تنعقد الثمار؟ فخلق مَن هذه الفواكه التي نأكلها؟ البستان فيه التفاح وفيه العنب وفيه المشمش وفيه التوت، وهذا كله ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [١١٢]، فتلك آيات تدل على عظمة الله عزّ وجلّ، فما الفرق بين التمر والعنب؟ الفرق كبير،

---

[١١٠] يوسف: ١٢/١٠٥ .

[١١١] الواقعة: ٥٦/٦٤ .

[١١٢] الرعد: ١٣/٤ .

إذا أردنا أن نكتبه لا نستطيع، فهذا حلو، وهذا حلو أيضاً، ولكن حلاوة التمر تختلف عن حلاوة العنب، وحلاوة العنب تختلف عن حلاوة التفاح، ومن جعل هذه الفواكه تنضج تباعاً؟ فالكرز أولاً، ثم المشمش، ثم التفاح، ثم العنب، ثم التين؛ ولو أن هذه الفواكه تنضج جميعاً في يوم واحد، أو أسبوع واحد؛ لأُتلفت، وما استفدنا منها، فإنما نستفيد منها إذا نضجت تباعاً، والفاكهة الواحدة أيضاً تنضج على مدى شهر، والتفاح على مدى شهرين، فماذا نفعل بها لو أنها كالقمح تنضج في يوم واحد؟ وكيف نحصد القمح لو أنه ينضج تباعاً؟ مستحيل، وكذا الحمص والعدس والشعير، فهذه المحاصيل من آيات الله الدالة على عظمته، فإنها تنضج في يوم واحد؛ رحمةً بنا.

٤- ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [١١٣].

في بعض الأحيان الآية القرآنية تتحدث عن نظرية لم يتحقق بعد، وعندما نقول (نظرية) فهذا يعني أنها غير حقيقية، لأن الحقيقة شيء والنظرية شيء آخر.

ويجب أن نعلم أنه لا يوجد تناقض بين الحقائق الدينية والحقائق العلمية، لأن الدين من عند الله تعالى، والعلم من قوانين الله تعالى، فلا تناقض بينهما.

ومنذ أن أنزل القرآن حتى الآن؛ ما تناقض حقيقة علمية مع آية من الآيات القرآنية، وهذا من عظمة القرآن الكريم ويعتبر معجزة بحدّ ذاته، ويؤكد بأن هذا

[١١٣] الأنبياء: ٢١/٣٠ .

القرآن كلام الله عز وجلّ.

مثلاً: قبل عشرات ومئات السنين، ما كان في تخيل أحد أن الإنسان سوف يغزو الفضاء، وما كان أحد من البشر يعرف أن صعود الفضاء يسبب قلّة في الضغط الجوي ويضيق النفس، ومع هذا فإن الله عز وجل قد أشار في القرآن الكريم الى هذا الموضوع قبل أن يغزو الإنسان الفضاء.

وهذا الغزو الإنساني للفضاء عبرّ فيها الإنسان ثانية واحدة –أي مسافة بين الأرض والقمر–، ومع هذا فقد كانت الرحلة مكلفة جداً.

يقول محمد راتب النابلسي في تفسير هذه الآية:

أرجح الأقول أن تفسير هذه الآية أن السماوات والأرض كانتا رتقاً؛ أي: شيئاً متجانساً، فالسماء لا تمطر، والأرض لا تنبت، ففتقهما الله سبحانه وتعالى؛ أي: فتق السماء عن المطر، فنزل منها المطر، وفتق الأرض عن النبات.

ماذا سيحلّ بنا لو أن السماء بقيت رتقاً فلم تنفتق عن المطر؟ هناك أقطار في قارة إفريقية أصابها الجفاف سبع سنوات متتالية؛ فيبست جميع الأشجار وماتت، وأصبحت جميع النباتات كالهشيم، وتبعتها الحيوانات، وتبعها الإنسان، والبقية الباقية هاجرت إلى أقطار أخرى، حتى لم يبق فيها شيء[١١٤].

---

[١١٤] النابلسي، محمد راتب، **تفسير النابلسي**، ٧/٤٣١-٤٣٢ .

3.2. نماذج من تناول النابلسي لآيات تتعلق بالإنسان والحيوان

1.3.2. نماذج من تفسيره للآيات التي تتحدث عن الإنسان

الإنسان هذا المخلوق الذي خلقه الله سبحانه وتعالى بعلمه وقدرته، لا شك أنه درة هذا الكون؛ أما لماذا؟ فهذا لا يملك جوابه إلا الله سبحانه وتعالى، الذي خلقه.

وعندما اكتملت الحياة على الأرض بجبالها وأنهارها ومائها وبحارها، ونباتاتها وحيوانها وحشراتها، وأصبحت جاهزة لاستقبال الإنسان؛ خلق الله سبحانه هذا الكائن العاقل (الإنسان) وسيّده على هذا الكون، بل وكرّم الله الإنسان بتسخير الكون له، وتسخير ما فيها لمنفعته، وإن كلّ ما أوجد في هذا العالم فإنما أوجده من أجل الإنسان.

يقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[١١٥].

يقول النابلسي: هذه الآيات بين أيديكم نموذج لتفكّرنا في خلق الله سبحانه وتعالى، فخلق السماوات والأرض، والمطر، والنبات، والبحر، والأنهار، والليل

---

[١١٥] إبراهيم: ١٤/٣٢-٣٤ .

والنهار، هذه آيات بيّنات دالة على عظمة الله سبحانه وتعالى، فأيهما أعظم عند الله مكانة؟ المسخَّرُ له أم المسخَّر؟ إنه المسخَّر له، والله سبحانه وتعالى جعل كل ما في الكون مسخَّراً من أجلك أيها الإنسان، فماذا فعلتَ؟ وكيف قابلتَ هذا الإكرام؟ هل قابلته بالطاعة أو بالمعصية؟ وهل قابلته بالحمد والشكر أو بالجحود والكفر؟ وهل قابلته بالعمل الصالح أو بالعمل السيء؟ وهل قابلته بذكر الله أو بالغفلة عنه؟ كيف قابلت هذا الإكرام؟ لاحظوا كلمة (لكم) في كل آية مسخرة من آيات الله؛ أي: أنها خُلِقت وسُخِّرت خصّيصاً لكم أيها البشر، فهل أنتم شاكرون؟ وهل أنتم ذاكرون؟ وهل أنتم طائعون؟[١١٦]

ويقول الله سبحانه: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١١٧].

يقول الطبري في تفسير هذه الآية: ﴿وسخر لكم ما في السماوات﴾ من شمس وقمر ونجوم ﴿وما في الأرض﴾ من دابة وشجر وجبل وجماد وسفن، لمنافعكم ومصالحكم ﴿جميعا منه﴾. يقول تعالى: جميع ما ذكرت لكم أيها الناس من هذه النعم، نعم عليكم من الله أنعم بها عليكم، وفضل منه تفضل به عليكم وجميعها منه ومن نعمه، فلا تجعلوا له في شكركم له شريكا، بل أفردوه بالشكر والعبادة،

---

[١١٦] النابلسي، محمد راتب، **تفسير النابلسي**، ص: ٣٥١/٦ .

[١١٧] الجاثية: ١٣/٤٥ .

وأخلصوا له الألوهة، فإنه لا إله لكم سواه[١١٨].

في القرآن الكريم هناك آيات كثيرة تتحدث عن الإنسان وعن خلقه منذ النطفة الأولى إلى أن يصبح مخلوقاً كاملاً، وهناك آيات تتحدث عن الروح والعقل والفؤاد، وغير ذلك من مكونات الإنسان.

١- يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾[١١٩].

الإنسان يتكون في الأصل من النطفة، والنطفة تنشأ من وصول الحيوان المني للرجل الى بويضة المرأة، وهذه الحيوانات والبويضات تتولد من الدم الذي يتكون من المادة اللبنية الناتجة عن الكيلوس، وهو عبارة عن نتائج هضم الغذاء الذي هو في الأصل ماء أو نبات أو حيوان، وكلها مكونة من عناصر التراب، إذاً الأصل يرجع الى التراب.

ولكن أكثر المفسّرين قديماً وحديثاً يفسّرون هذه الآية بأن الله خلق آدم من الطين، لأن باقي الإنسان خلقوا من الماء.

يقول ابن كثير: قوله: ﴿هو الذي خلقكم من طين﴾ يعني: أباهم آدم الذي هو أصلهم ومنه خرجوا، فانتشروا في المشارق والمغارب[١٢٠].

---

[١١٨] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الأملي، **جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ١، ٢٠٠٠م، ص: ٦٥/٢٢ .

[١١٩] الأنعام: ٢/٦ .

[١٢٠] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ٢٣٩/٣ .

ويقول أبو منصور الماتريدي في تفسيره لهذه الآية: خلق آدم أبا البشر من طين، فأما خلق بني آدم من ماء؛ كقوله تعالى: ﴿ألم نخلقكم من ماء مهين﴾ أخبر الله -تعالى- أنه خلق آدم من الطين، وخلق بني آدم -سوى عيسى عليه السلام- من النطفة، وخلق عيسى -عليه السلام- لا من الطين ولا من الماء؛ ليعلموا أنه قادر على إنشاء الخلق لا من شيء، وأنه لا اختصاص للخلق بشيء[١٢١].

ويقول البغوي: قوله -عز وجل- ﴿هو الذي خلقكم من طين﴾ يعني: آدم -عليه السلام-، خاطبهم به إذ كانوا من ولده[١٢٢].

هكذا أكثر المفسّرين يتفقون في معنى هذه الآية بأن المقصود من الذي خلق من الطين هو آدم -عليه السلام-.

ولكن النابلسي يختلف نوعاً ما مع مَن قبله من المفسّرين؛ فهو يفسّر هذه الآية بأن معناه مشترك بين آدم وبين باقي الخلق من بني آدم، فيقول: الله -سبحانه وتعالى- يخاطب ذرية آدم من خلال آدم -عليه السلام- أو يخاطب آدم من خلال ذريّته، فآدم خُلق من تراب حقيقية، أو أن الأم والأب يأكلان من طعام نُبِت من تراب، فمحصلة هذا الإنسان هو الطعام الذي يأكله، وعليه فالإنسان خلق من تراب[١٢٣].

---

[١٢١] الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، ٦/٤ .

[١٢٢] البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي الشافعي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:١، ١٤٢٠هـ، ١٠٩/٢ .

[١٢٣] النابلسي، **تفسير النابلسي**، ٨/٤ .

وأثبت العلم الحديث أن عناصر جسم الإنسان فيه كثير من محتويات الأرض؛ فمثلاً: يحتوي على الأكسجين، والهيدروجين، والكربون، والكالسيوم، والبوتاسيوم، والصوديوم، والحديد، والفلورين، والكلور، والزنك، وغير ذلك من العناصر، وهذه العناصر كلها موجودة في التراب، مع اختلاف نسبتها في انسان عن آخر.

٢- يقول الله -جل جلاله-: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾[١٢٤].

أكثر المفسرين يفسرون هذه الآية بأن الله يعلم ما في بطن الحامل من ذكر أو أنثى؛

قال ابن عباس -رضي الله عنهما- في تفسير هذه الآية: كان حامل ذكر هو أو أنثى، وما تنقص الأرحام في الحمل من التسعة، وما تزداد على التسعة في الحمل، وكل شيء من الزيادة والنقصان وخروج الولد والمكث عنده بمقدار[١٢٥].

وقال سعيد بن مسيب: يعلم ذكراً هو أو أنثى[١٢٦].

ويقول أبو منصور الماتريدي: يعلم أنها حملت ذكرًا أو أنثى مستويًا أو غير مستوٍ[١٢٧].

---

[١٢٤] الرعد: ٨/١٣ .

[١٢٥] الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، **تنوير المقباس من تفسير ابن عباس**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٤١٢هـ، ص: ٢٦٢.

[١٢٦] ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس التميمي الحنظلي الرازي، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، ط: ٣، ١٤١٩هـ، ٢٢٢٦/٧ .

[١٢٧] الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، ٣١٣/٦ .

ويقول الواحدي: يعلم ما في بطن كل حامل من علقة، أو مضغة، أو زائد، أو ناقص، على اختلاف في جميع أحواله[١٢٨].

هذا هو تفسير أكثر المفسّرين لهذه الآية، ولكن في هذا العصر ومع تقدم العلم والطب؛ فقد نحتاج الى تفسير عصري لهذه الآية، لكي يلائم الواقع الذي نعيشه في عالم الطب، لأن معرفة جنس الجنين هل هو ذكر أو أنثى، أصبح شيئاً عادياً جداً، فبفحص واحد نستطيع معرفة ذلك!

لكن محمد النابلسي له رأي آخر في تفسير هذه الآية، فيقول:

فلم لم يقل الله –عز وجل– الله يعلم من تحمل كل أنثى؟ إن العلماء قد توصلوا الى معرفة جنس الجنين؛ أذكر هو أم أنثى؟ ولكن تحت هذا الحرف (ما) تنضوي معاني كثيرة؛ منها: هذا المولود ذكر أو أنثى، وسيم أو دميم، ذكيّ أو غبيّ، مليح أو قبيح، مصلح أو مفسد، يشبه أباه أو لا يشبهه، ففي العرى الملوّنة (الكروموزومات) أوامر دقيقو بتخليق الإنسان، ولو كتبت هذه الأوامر على ورق؛ لضاقت بها أكثر الموسوعات اتساعاً، فمن تلك الأوامر: وجهه مستطيل أو دائري، أو على شكل كمّثري، أو على شكل كرة، وشعره كثيف أو خفيف، أسود أو خرنوبي، أو كستنائي، أو أشقر، جعد أو سبط، وحاجباه، وعيناه، وخدّاه، وفمه

---

[١٢٨] الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد النيسابوري الشافعي، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود–علي محمد معوض–أحمد محمد صيرة–أحمد عبد الغني الجمل–عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٤١٥هـ، ٦/٣ .

ولسانه، ونبرة صوته، فهناك تفاصيل دقيقة جداً لا يعلمها إلا الله، وأما موضوع ذكر أو أنثى؛ فموضوع تافه جداً إذا قيس بما تعنيه هذه الآية[١٢٩].

وهكذا فإن التفسير العلمي يفيد في مثل هذا الموضوع، لأن التفاسير الأخرى لا يفسر مثل هذه الآية بما يلائم الواقع المعاصر والتطور العلمي، فهذا من إيجابيات التفسير العلمي الذي يسير الدكتور النابلسي وفق منهجه.

٣-﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ *ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾[١٣٠]

إتفق المفسّرون بأن (قرار مكين) هو رحم المرأة؛ قال ذلك الطبري وابن كثير والقرطبي والبغوي والنسفي والرازي والواحدي وغيرهم من القدامى والمعاصرين.

يقول ابن عباس: ﴿فجعلناه في قرار مكين﴾ أي: في مكان حريز رحم المرأة[١٣١].

ويقول ابن كثير: ﴿جعلناه في قرار مكين﴾ يعني جمعناه في الرحم، وهو قرار الماء من الرجل والمرأة، والرحم معدّ لذلك حافظ لما أودع فيه من الماء[١٣٢].

وجاء في تفسير الخازن: (قرار مكين) أي حريز وهو الرحم، وسمي مكيناً لاستقرار النطفة فيه إلى وقت الولادة[١٣٣].

ويقول أبو منصور الماتريدي: وجائز أن يكون القرار هو صلب الرجل؛ لأن

---

[١٢٩] النابلسي، **تفسير النابلسي**، ٦/٢٥٠ .

[١٣٠] المؤمنون: ٢٣/١٢-١٣ .

[١٣١] الفيروزآبادي، **تنوير المقباس من تفسير ابن عباس**، ص: ٤٩٧ .

[١٣٢] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ٨/٢٩٩ .

[١٣٣] الخازن، أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٤١٥هـ، ٣/٢٦٩ .

النطفة لا تخلق في الصلب أول ما خلق الإنسان، ولكن تجعل فيه من بعد؛ فيكون الصلب قرارها ومكانها إلى وقت خروجها منه إلى الرحم[١٣٤].

وفسّر محمد النابلسي (قرار مكين) بنفس المعنى، ولكن أضاف إليه إضافات وفسّره تفسيراً علمياً، بأن يجعل المعنى أقرب الى الفهم، فقال: والرحم قرار مكين، معنى ذلك: أنك إذا أخذت خطاً متوسطاً للمرأة طولاً، وخطاً متوسطاً عرضاً؛ يتعامدان عند الرحم، فالرحم هو الوسط الهندسي تماماً للمرأة، كما أنه في بدايات الحمل يحافظ على النطفة، فالرحم محاط بجدران عظميّة من كل الجهات في مراحله الأولى، وهي عظام الحوض في المرأة، وهناك أربطة تربط الرحم من كل الجهات؛ كي لا يتأثر بحركة الأم[١٣٥].

٤- ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[١٣٦].

ذكر العلماء في تفسير هذه الآية الكريمة وجوهاً من التفسير، ونقلوها عن الصحابة والتابعين؛[١٣٧]

الوجه الأول: أن الله تعالى أعطى كل شيء نظير خلقه في الهيئة والصورة، أي أعطى كل شيء زوجه من جنسه؛ فأعطى للذكور من بني

---

[١٣٤] الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، ٤٥٤/٧ .

[١٣٥] النابلسي، **تفسير النابلسي**، ٥٩٣/٧ .

[١٣٦] سورة طه: ٥٠/٢٠ .

[١٣٧] استفدت في ذكر هذه الوجوه من التفاسير الآتية: **جامع البيان** للطبري ٣١٦/١٨، **ومعالم التنزيل** للبغوي ٢٦٤/٣، **وتفسير القرآن العظيم** لابن كثير ٢٩٧/٥، **ولباب التأويل في معاني التنزيل** للخازن ٢٠٦/٣.

آدم نظير خلقهم من الإناث، وأيضاً أعطى للذكور من البهائم نظير خلقهم، فلم يعط الإنسان خلاف خلقه، بأن يزوجه من البهائم، ولا البهائم من الإنس، وبعد أن أعطاهم الله زوجاً من جنسهم، ثم هداهم الى كيفية النكاح والتزاوج والتآلف، للتكاثر وعدم الإنقراض، وهداهم أيضاً الى الطعام والشراب وجميع منافعهم.

قال بنحو هذا التفسير: ابن عباس، وسعيد بن جبير، والسدي، والفراء.

الوجه الثاني: أن الله –سبحانه– أعطى كل فرد من الإنسان والبهائم، صورته وشكله المناسب له، وهي خلقه الذي خلقه به، ثم هداه لما يصلحه للحياة والمعاش.

وقال بهذا الوجه: مجاهد، وعطية، ومقاتل.

الوجه الثالث: أن الله تعالى قد أعطى كل شيء صلاحه، ثم هداه الى لما يصلحه. وقال بهذا: قتادة، والحسن البصري.

الوجه الرابع: أن الله –عز وجل– منح كل شيء، الشكل الذي يناسب لما خلق له، والصورة التي تلائمه، والهيئة التي تتحقق معها مصلحته ومنفعته؛ فأعطى العين الهئية التي تطابق النظر والإبصار، ومنح الأذن الشكل الذي يوافق الإستماع، وهكذا اليد للبطش، والرجل للمشي، والأنف للشم، وغير ذلك. وبهذا قال الضحاك.

وبعد النظر الى جميع هذه الإتجاهات في تفسير هذه الآية الكريمة؛ يبدو أن هذه الآية تتسع لجميع هذه المعاني، لأن الله تعالى منح الخلائق كل شيء يحتاجون إليه في حياتهم ومعاشهم، وهداهم الى طرق الإنتفاع بالأشياء الذي أعطاهم، وأيضاً أعطى كل نوع من أنواع خلقه الصورة المناسبة له، وأعطاهم الشكل المناسب مع جنسهم.

أما النابلسي فقد فسّر هذه الآية تفسيراً قريباً من التفاسير السابقة، وهي: أن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم، فخلقه خلقاً كاملاً، وأعطاه فكراً وقووة إدراكية يعرف بها الخير من الشر، والحق من الباطل، وما ينفعه وما يضرّه، وأن الله جهّز كل مخلوق ببنية، وطبيعة، ونفسيّة، وأجهزة، وأعضاء؛ تناسب مهمته في الحياة[١٣٨] .

وبعد ذلك قام بتفسيرها تفسيراً علمياً، وأتى بأمثلة واقعية لشرح هذه الآية، وتقريبها من فهم الإنسان، فذكر مثالاً للطفل الصغير الذي ولد للتوّه، فهو يلتقم ثدي أمه، ويقوم بسحب الحليب منها، بدون أن يعلّمه أحد، فليس بإمكان أحد أن يعلّمه شيئاً، فلا إدراك لديه ولا لغة ولا قدرة الإستيعاب، فلو أن هذا الطفل الصغير لم يلتقم ثدي أمه؛ لمات جوعاً، إذاً فعملية المص عملية فطرية تولد مع الإنسان.

فهذا المثال يقرّب معنى هذه الآية الى الأذهان، وهذا التفسير لا علاقة له

---

[١٣٨] النابلسي، **تفسير النابلسي**، ٣٣٢/٧ بتصرف.

بالأوجه الأربعة السابقة.

ثم بعد ذلك قام بذكر أمثلة أخرى، قريبة من تفسير أصحاب الوجه الرابع، فذكر نعمة العينين، ووظيفتهما، وذكر وجوه الإعجاز العلمي فيهما، ثم ذكر أشياءً في خلق جسم الإنسان كالهيكل العظمي، والقلب، والأذنين، واللسان، والشفتين.

وبعد ذلك بدأ بذكر الحيوانات؛ فبدأ بالأسماك وخلقه، وكيف تسبح في الماء، وذكر الحيتان وحياته في البحار، ثم ذكر الطيور وبعضاً من الحيوانات الأخرى، كل هذا كان تفسيراً لآية ﴿ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾.

وفي بعض الأحيان يأتي النابلسي بمواضيع تخص الإنسان والإعجاز العلمي في خلقه، ويتحدث عن مسائل علمية في أعضاء الإنسان، في أماكن لا علاقة له بهذا الموضوع، فمثلاً في سورة البقرة وتحديداً في تفسير آية الكرسي؛ في تفسيره لقوله تعالى ﴿الله لا إله إلا هو الحيّ القيّوم﴾[١٣٩]، يفسّرها بأن الله حيٌّ وهو مصدر حياة المخلوقات، ثم يأتي بأمثلة في حياة الإنسان، وكيف أن الإنسان إذا مات يكون غير مرغوب بين الناس، حتى أهله وأولاده يخافون من جثته، لأنه سُحب منه الحياة، وأعضاء جسمه، أصبحوا بلا قيمة، ثم ذكر حياة الحيوانات والطيور والنباتات والأشجار.

---

[١٣٩] البقرة: ٢/٢٥٥ .

وبعد ذلك وفي نفس الآية، عند قوله تعالى ﴿له ما في السماوات وما في الأرض﴾[١٤٠]؛ أيضاً جاء بتفسير علمي، وذكر أن أعضاء جسم الإنسان كله بيد الله؛ فالقلب والكبد والشرايين والكليتين والأعصاب، كل ذلك بيد الله تعالى.

ثم ذكر أمثلة واقعية لتقريب المعنى من الأذهان، فذكر قصة رجل ثري أصبح أفقر الناس بسبب زلزال وطوفان، وذكر حوادث الطائرات، ثم مسائل الأمطار وكميات نزول الأمطار، وذكر الحروب، والأمراض، وغير ذلك من الأمثلة والمسائل؛ كل هذا كان تفسيراً لجزء من آية الكرسي ﴿له ما في السماوات وما في الأرض﴾[١٤١]، لهذا السبب يعتبر تفسير النابلسي من التفاسير الذي يهتم بالأمثلة والقصص والمسائل العلمية.

---

[١٤٠] البقرة: ٢/٢٥٥ .

[١٤١] البقرة: ٢/٢٥٥ .

2.3.2. نماذج من تفسيره للآيات التي تتحدث عن الحيوانات

إن من أعظم إكرام الله تعالى لبني آدم؛ أن سخّر لهم كل ما في الأرض من مخلوقات خلقها لهم من الحيوانات، والطيور، والحشرات، والنبات، والجبال، والبحار.

يقول الله –عز وجل–: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[١٤٢].

ففي هذه الآية الكريمة يشير الى أن الله –عز وجل– سخّر للإنسان كل شيء على وجه الأرض، حتى ذرة رمل؛ والحيوانات واحدة من هذه الأشياء المسخرة للإنسان، وهذا التسخير نوع من أنواع الإكرام من الله –عز وجل–، لكي لا يشعر الإنسان بالوحدة على سطح هذا الكوكب، ولكي يبتعد عن عن الخوف والملل والسأم.

ولأن الحيوانات تمثّل جانباً عظيماً من الموجودات الحيّة في العالم؛ فالله – سبحانه وتعالى– ذكر في القرآن الكريم العديد من أنواع الحيوانات، فجاءت الإشارة الى عدد منها في أكثر من مائة وأربعين آية من آيات القرآن الكريم، وأعظم من هذا؛ فقد سمى الله –سبحانه– أسماء ستة سور من سور القرآن الكريم

---

[١٤٢] الحج: ٢٢/٦٥ .

بأسماء الحيوانات، وهي: سورة البقرة، وسورة الأنعام، وسورة النحل، وسورة النمل، وسورة العنكبوت، وسورة الفيل.

وتحدّث القرآن الكريم عن سبعة وعشرين صنفاً من الحيوانات؛ ففي المركز الأول جاءت الثدييات[١٤٣]، فقد ذكر ثلاثة عشر نوعاً منها، ويليها الأنعام المجترة[١٤٤]، بأربعة أنواع، وذكر ثلاثة أنواع من الجوارح، ونوعين من الممسوخة، وأربعة أنواع من المركوبة.

وأيضاً ذكر في القرآن الكريم ثمانية أنواع من الحشرات؛ وثلاثة أنواع من الطيور، ونوع واحد لكلٍّ من الأسماك، والزواحف، والبرمائيات.

والحيوانات المذكورة في القرآن الكريم كالتالي:

جاء ذكر الحيوانات بصفة عامة تحت مسمى الدواب أو الدابّة، وهي تشمل كل ما يدبّ على الأرض، من الإنسان والحيوانات وغيرهم، وجاء ذكر بعض الحيوانات تحت مسمى الأنعام، وهي تشمل الإبل، والبقر، والغنم، والماعز، وما شبهها.

---

[١٤٣] الثدييات: هو اسم يطلق على أحد أهم فصائل الحيوانات، وهي الحيوانات التي تغذي صغارها عن طريق الإرضاع، بواسطة غدد لبنية توجد لدى الإناث، ويندرج تحت هذه الفصيلة أنواع متعددة من الحيوانات التي تعيش في البرّ والبحر.

[١٤٤] المجترة: اسم يطلق على حيوانات الرعي ذات الظلف المشقوق، التي تبتلع الطعام ثم تستعيده من غرف المعدة لتعيد مضغه، ويقال للحيوانات من هذا النوع المجترات، ومن أمثلتها: الضأن، والبقر، والجمال، والغزلان، والماعز، والظباء، والزراف، ولهذه الحيوانات طريقة غريبة في هضم الطعام؛ فهي تبتلعه بعد أن تمضغه مضغًا رفيقًا، فينزل الطعام عبر المريء إلى المعدة.

وجاء ذكر الإبل، والبعير، والبقرة، والعجل، والنعجة، والفيل، والخيل، والحمار، والبغال، والذئب، والأسد، والكلب، والخنزير، والقرد، والحوت، والثعبان، والضفادع.

وذكر من الطيور؛ بلفظ الطير والطائر، الغراب، والهدهد، والسلوى.

وذكر الحشرات؛ كالنمل، والنحل، والذباب، والبعوضة، والعنكبوت، والجراد، والقمّل، والفراشة.

وفي القرآن الكريم جاء ذكر الحيوانات للتفكر في خلق الله تارة، وكنعمة من نعم الله تارة، وكعبر وعظات تارة أخرى؛ مثلاً:

- كانت البقرة شاهداً وسبباً لبني إسرائيل، لكشف قاتل أحدهم.
- والغراب كان دليلاً لقابيل، في كيفية دفن جثمان أخيه هابيل، بعد أن قتله، وسنة الله في دفن جثمان الإنسان تحت التراب، جاءت عن طريق الغراب، فبقي مثالاً ونموذجاً يُحتذى به الى قيام الساعة.
- وكانت الناقة وعيداً وتهديداً من الله لقوم صالح –عليه السلام–، بأن لا يمسّوها بسوء، وإلا فلهم عذاب شديد؛ وهذا الذي حدث؛ فقد عُذّبوا بعد أن ذبحوا الناقة.
- والحوت كان دليلاً ومرشداً لموسى –عليه السلام–، في رحلته الى الخضر –عليه السلام–

- وكذا النملة كانت عوناً وحامياً لبني جلدتها، من سليمان –عليه السلام– وجيشه.

هكذا يذكر القرآن الكريم وظائف بعض الحيوانات في قصص الأنبياء والصالحين.

ومن ناحية أخرى؛ فإن القرآن الكريم دعا الى تربية الحيوانات؛ قال تعالى:﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى * كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾[١٤٥].

يقول الواحدي في تفسير هذه الآية: (كلوا) أي: مما أخرجنا بالمطر من النبات والثمار، (وارعوا أنعامكم) يقال: رعت الماشية الكلأ رعياً، ورعاها صاحبها رعايةً، إذا أسرحها في المراعي، والمعنى: أسيموا مواشيكم فيما انبتناه بالمطر[١٤٦].

فهذا يظهر أهمية تربية الحيوانات، والعناية بهم، لكي نحافظ على هذه الثروة العظيمة، ونحميها من الإنقراض.

وسأذكر هنا نماذج من تفسير الآيات التي تتحدث عن الحيوانات.

---

[١٤٥] طه: ٢٠/٥٣-٥٤ .

[١٤٦] الواحدي، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، ٣/٢١٠ .

١- البعوضة.

البعوضة أو الناموس: حشرة صغيرة معروفة لدى الإنسان، وهي من فصيلة الحشرات التي لها جناحين، والبعوضة تعيش على الدم، فالدم غذائها الرئيسي، ليس فقط دم الإنسان؛ بل من الحيوانات أيضاً، والبعوضة فيها أنواع ينقل الامراض والجراثيم والفايروسات، ومن أشهر الامراض التي تنتقل عن طريق البعوضة؛ ملاريا، وهي مرض قاتل وهالك للإنسان.

وفي القرآن الكريم، ذكر الله تعالى اسم البعوضة، وضرب بها مثلاً، ففي سورة البقرة يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾[١٤٧].

في تفسير هذه الآية، ذكر المفسّرون أن المقصود من ﴿إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها﴾؛ أن الله يضرب الأمثال بالأشياء الصغيرة والحقيرة، والبعوضة لا قيمة لها عند الناس، فهي حشرة حقيرة، كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: ((لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافراً منها شربة ماء))[١٤٨]، وجاء هذا المثال بعد أن ضرب الله أمثلة بالذباب

---

[١٤٧] البقرة: ٢٦/٢ .

[١٤٨] الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمد

والعنكبوت في سورتي الحج والعنكبوت، استهزأ المشركون وقالوا: كيف يكون للإله أن يضرب الأمثال بالأشياء التافهة والحقيرة؟ فردّ الله عليهم في هذه الآية وأكّد بأنه يضرب الأمثال بالمخلوقات الصغيرة مثل البعوضة، وما فوق البعوضة من حيوانات أكبر حجماً منها، أو ما هو دون البعوضة حجماً وضعفاً، والبعوضة أضعف ما خلق الله، كما قال قتادة –رحمه الله–[١٤٩].

يقول ابن عباس –رضي الله عنهما–: (فما فوقها) يعني الذباب والعنكبوت[١٥٠].

ويقول الربيع بن أنس: هذا مثلٌ ضربه الله للدنيا؛ إذ البعوضة تحيا ما جاعت، فإذا سمنت ماتت، كذلك مثل هؤلاء القوم الذين ضرب لهم هذا المثل في القرآن، إذا امتلؤوا من الدنيا ريًّا؛ أخذهم الله تعالى عند ذلك[١٥١].

هكذا العلماء فسّروا هذه الآية، وما وقفوا كثيراً على ذكر البعوضة، ولماذا ذكرها الله دون سائر الحيوانات والحشرات، إلا قالوا إنها أضعف المخلوقات فقط.

شاكر–محمد فؤاد عبد الباقي–إبراهيم عطوة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط: ٢، ١٣٩٥هـ، أبواب الزهد، باب ماجاء في هوان الدنيا على الله –عز وجل–، (٢٣٢٠) ٥٦٠/٤؛ ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، **سنن ابن ماجه**، تحقيق: شعيب الأنؤوط ومجموعة أخرى، دار الرسالة العالمية، بيروت، ط:١، ١٤٣٠هـ، أبواب الزهد، باب: مثل الدنيا (٤١١٠)، ٢٣٠/٥؛ المنذري، أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي، **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف**، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤١٧هـ، كتاب التوبة والزهد (٤٨٩٤)، ٨٣/٤ .

[١٤٩] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، دار الفكر، بيروت، ط: ١، ١٤٣٢-١٤٣٣هـ، ١٠٣/١.

[١٥٠] الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ١، ١٤٢٢هـ، ١٧٢/١ .

[١٥١] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ٢٠٧/١ .

ولكن محمد راتب النابلسي في تفسيره لهذه الآية، يدخل في أعماقها، ويطول في مسألة ذكر البعوضة، فيشير بأنه كلما كان الشيء صغيراً، احتاج الى صنعة بارعة، وفي غاية الدقة، فذكر أمثلة على بعض المصنوعات مثل الساعة الصغيرة التي فيها إلكترونيات دقيقة، وآلة التصوير الصغيرة التي تنصب في الاقلام وعلى الجيوب، وقد يصوّرك وأنت لا تدري، وأيضاً جهاز المحمول التي فيها كل شيء من الساعة والحاسبة والانترنت والصور والفيديوهات وغير ذلك، وكل هذا والجهاز لا يتجاوز حجمه كف اليد.! فذكر هذه الأمثلة على أنه كلما صغر الشيء؛ احتاج الى صنعة بارعة وأثار الإهتمام.

ثم بدأ بذكر الإعجاز العلمي في خلق البعوضة؛ فذكر أنه تم اختراع مجهر إلكتروني يكبر أربع مئة ألف مرة، وتم تجربة تكبير حجم البعوضة، فوضعوا بعوضة تحت هذا الجهاز، تبيّن أن لها مئة عين، ولها ثمانية وأربعين سناً، وفي صدرها ثلاثة قلوب؛ فلكل جناح من الجناحين قلب مستقل عن القلب المركزي، وعندها ست سكاكين لإحداث الجروح، والبعوضة لها جهاز الكشف (رادار)، فعندما ينام شخص بالليل، والغرفة مظلمة؛ فالبعوضة تتجه مباشرة الى جسم ذلك الإنسان، دون أن تخطأ في الهدف، وعندما تصل الى جسم الإنسان، وقبل كل شيء تقوم بتخدير المكان الذي تريد أن تمتص منه الدم، لكي لا يشعر الإنسان بلدغته فيقتلها، فالإنسان يشعر بلدغة البعوضة بعد أن تنتهي من لدغتها ومصت

دمه، ثم تقوم بتحليل الدم، لأن هناك دم لا يناسبها؛ فقد ينام شخصان في مكان واحد، وعلى سرير واحد، فعندما يقومان من النوم، نرى أن أحدهما أصيب بعشرات لدغات البعوض، والآخر سليم وليس في جسده لدغة واحدة، لأن دمه لا يناسب البعوضة، ثم ذكر مقارنة بين البعوضة وبين أعظم طائرة صنعها الإنسان.

وفي تفسيره لكلمة (فما فوقها)؛ يفسّرها بأن جميع الأشياء الذي نراه يومياً إذا أدخل تحت المجهر، نرى أشياء عجيبة من الجراثيم والفيروسات؛ فجلد الإنسان مثلاً إذا أُدخل تحت المجهر نجد أنه كالغابة، فيها أودية وتلال وسهول وأشجار –وهي الشعر–، وأيضاً عندما ننظر الى كأس من الماء، نراه صافياً طاهراً نظيفاً، ولكن تحت المجهر نرى فيها ما لا يُحصى من الكائنات الحية، وهذا هو المقصود بما فوق البعوضة، أي ما هو أصغر منها من الجراثيم والفيروسات والأشياء الصغيرة التي لا ترى بالعين المجردة.

هكذا ذكر الدكتور النابلسي إعجاز خلق البعوضة، في تفسيره العلمي للآية التي تتحدث عنها[١٥٢].

[١٥٢] النابلسي، **تفسير النابلسي**، ١/١٩٥-١٩٨ بتصرف.

٢- النحل.

النحل: هو حشرة صغيرة الحجم، ذات أجنحة، تنتج العسل وشمع النحل، وهناك ما يقارب عشرين ألف نوع من أنواع النحلة، وتنتشر النحلة في جميع قارات العالم، عدا القطب الجنوبي، بسبب الجوّ هناك.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ٦٨ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١٥٣].

أي: ألهم الله النحل وأرشدها وهداها، وأمرها بأن تتخذ بيوتاً من الجبال، وبيوتاً في الأشجار، وبيوتاً فيما يبنيه الناس ويسقفونه، ثم كلي من الثمرات ما تشتهينه، واسلكي مذلّلة الطرق التي أرشدك ربك الى أسلاكها، هذا المخلوق الصغير الضعيف التي لا تتجاوز سنتمترين؛ يخرج من بطونها شراب لذيذ، مفيد، وهو غذاء وشفاء للإنسان، وهو من أفخر أنواع الأغذية على الإطلاق؛ فالعسل بألوانه المختلفة، ففيه الأبيض وفيه الأسود وفيه الأصفر؛ شفاء للناس من أمراض كثيرة، فيعالجون به أمراضهم، إن في إلهام النحل، وإخراج العسل منها؛ لهي أكير دليل على قدرة الله تعالى وتدبيره لشؤون خلقه.

هذه الآية العظيمة، لا يمكن لأي إنسان على وجه الأرض أن يفسّرها، تفسيراً

[١٥٣] النحل: ١٦/٦٨-٦٩ .

علمياً إعجازياً؛ دون أن يدخل عالم النحلة الخاصة، ويعيش في مملكتها، ويستقصي حياتها وطرق معيشتها؛ وهذا من أصعب الأمور على الإطلاق، بسبب حجم النحلة، وتعقيد الحياة في مملكتها؛ ولكن الله تعالى أنعم علينا بأننا نعيش في زمن وصل العلم الى أقصى الحدود من التقدم والتطور.

فالإنسان في أيامنا هذه يجري بحوثات في كل شيء، ويقوم بالدراسات العلمية الدقيقة، من الذرة الى المجرة، ومن النملة الى الفيل، والعلم اليوم لا يترك أي ظاهرة حياتية، سواء تتعلق بالإنسان أو الحيوان أو النبات أو الحشرات، وكذلك الجبال والبحار والأنهار والغابات والصحارى، كل ذلك وأكثر موضوع على طاولة البحث والدراسات، ومن جملة هذه الدراسات مملكة النحل؛ فعلماء البيئة والحشرات، أجروا بحوثات كثيرة ودراسات دقيقة ومعقدة تتعلق بالمعيشة في هذه المملكة العجيبة، فهذه الدراسات ليست بأمر هيّن وسهل، بل تحتاج الى شهور بل سنوات، لأنه يجب متابعة النحل ومملكتها وملكتها يوماً بيوم، لكي تكون الدراسة علمية وصحيحة ودقيقة ومعتبرة، وشيء آخر يعيق ويصعب هذه الدراسات في النحل؛ أن النحل تعيش في أماكن عصيبية، مثل الكهوف والصخور وقمم الجبال، لذا فالعلماء يستخدمون أحدث آليات التقنية الحديثة من كاميرات المراقبة وآلات تصوير حساسة، وبهذا يصورون وينتجون أفلاماً عن كل شيء يتعلق بالنحل ومملكتها، وهذا من فضل الله على الإنسان، أن أعطاه العقل

والقوة والإمكانية، لكي يفعل بها هذه الأشياء، ويبحث عن الإعجاز العلمي في مخلوقات الله تعالى.

وبالنسبة لتفسير الآية السابقة؛ فالعلماء عندما فسّروها؛ اهتموا بتفسير ﴿وأوحى ربك الى النحل﴾، فركّزوا على مسألة وحي الله الى النحل؛ هل هي إلهام أم أمر؟ وهل أرسل الله الى النحل رسولاً؟

القول الأول: الوحي بمعنى الإلهام والهداية والإرشاد، أوحى ربك أي ألهمها[١٥٤]، وأمرها أن تأكل من كل الثمرات، وأن تتبع طرق ربها ذللاً، والله تعالى ألهم النحل إلهاماً، ولم يرسل إليها رسولاً، وهذا قول ابن عباس ومجاهد والضحاك ومقاتل[١٥٥].

ويقول النابلسي بهذا القول، بل ويزيد على ذلك بأن الياء في (أن اتخذي) فيها إعجاز؛ وهي أن المؤنث من النحل هي الوحيدة التي تستطيع أن تخزن رحيق الأزهار من أجل الغذاء، فتنطلق العاملات من الخلايا، وتجوب الحقول والبساتين؛ من أجل أن تمتص رحيق الأزهار، فهذا الياء ياء المؤنثة المخاطبة، إذاً فالنحلات العاملات هنّ المعنيّات بهذه الآية الكريمة وهذا الإلهام الرباني[١٥٦].

والقول الثاني: أن معنى الوحي هنا الأمر، أي أن الله –عز وجل– أمر النحل أن

---

[١٥٤] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ١٣٣/١٠ .

[١٥٥] السيوطي، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، ١٤٣/٥ .

[١٥٦] النابلسي، **تفسير النابلسي**، ٥٨٣/٦ .

تتخذ من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون، وهذا قول آخر عن ابن عباس ومجاهد[١٥٧].

وعلى رأي الأول بأن الوحي هنا بمعنى الإلهام؛ ففي معنى الإلهام للعلماء آراء وأوجه؛ فبعضهم قالوا بأن الإلهام، ما خلقه الله في القلب، ابتداءً من غير سبب، ومنهم من قالوا بأن الإلهام هنا أن الله قذف في قلب النحل على وجه هو أعلم به، ولا يتطيع أحد أن يفسر كيفية هذا الإلهام[١٥٨].

وأيضاً في تفسير هذه الآية ذكروا فوائد العسل، وأنها شفاء للأمراض، وذكروا أحاديث كثيرة للنبي –صلى الله عليه وسلم– في فضل وشفاء العسل.

وبعضهم ذكروا بيت النحل، أي أن الله هدى النحل أن تقوم ببناء بيتها بهذا الشكل العجيب المسدس، من إضلاع متساوية، لا يزيد بعضها على بعض، ولا يستطيع الإنسان أن يبني مثل هذا البيت إلا بآلات وأدوات.

هكذا فُسّر هذه الآية من قبل المفسّرين؛ وبعد بحث طويل في تفسير هذه الآية عند المتقدّمين، فما وجدت غير هذا التفسير؛ إلا عند الرازي، فهو أضاف شيئاً جديداً على هذا التفسير، فقد تكلم عن مملكة النحل، وطبيعة حياة النحل في هذه المملكة العجيبة؛ ففي البداية تكلم عن بيت النحل، وغرابة بناء هذا البيت، وأنه ثبت في الهندسة أن تلك البيوت لو بنيت على غير شكل المسدسات لكان فيها

---

[١٥٧] ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، ٥٦٩/٢ .

[١٥٨] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ٦١٨/٢ .

خلل وفرج خالية ضائعة، وتأثرت على النحل وثمارها من العسل.

ثم ذكر شيئاً عن حياة النحل؛ فيصبح أحدهم رئيساً للبقية، وهو جسمه أعظم من الباقي، فيأمر وينهى، وبقية النحل يخدمونه ويحملونه عند الطيران، وإذا تاهت أحدهم فإن البقية يقومون بإخراج أصوات وألحان مثل الكنبور وآلات الموسيقى، وبهذا يرجع التائه الى بيته وجماعته[١٥٩].

أما محمد راتب النابلسي، فهو دخل في عمق معنى الآية الكريمة، فطوّل في ذكر الإعجاز العلمي في خلق النحل، والمعيشة في هذه المملكة الغريبة، وذكر أنواعاً من المسائل العلمية، والإعجاز العلمي في النحل، ويسمى خلية النحل بالمملكة، لأن فيها نظاماً وقوانين خاصة بها.

في البداية يتحدث المفسّر عن العامل المشترك بين النحلة والإنسان المؤمن؛ فيأتي بحديث عن النبي –صلى الله عليه وسلم– فيه إشارة لهذا الموضوع، فيقول –صلى الله عليه وسلم–: ((مثل المؤمن مثل النحلة، لا تأكل إلا طيّباً، ولا تضع إلا طيّباً))[١٦٠]، وزاد الإمام أحمد في مسنده: ((ووقعت فلم تُكسَر، ولم تَفْسُد))[١٦١]،

---

[١٥٩] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ٢٣٦/٢٠ بتصرف.

[١٦٠] ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي الدارمي البستي، **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ١، ١٤٠٨هـ، كتاب الإيمان، باب: ما جاء في صفات المؤمنين، ذكر تمثيل المصطفى –صلى الله عليه وسلم– المؤمن بالنحلة، في أكل الطيب ووضع الطيب (٢٤٧)، ٤٨٢/١؛ الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط:٢، ١٤١٥هـ، باب اللام (٤٥٩)، ٢٠٤/١٩ .

[١٦١] الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**،

وهذا من أجمل الأوصاف التي وصف بها المؤمن، فالمؤمن يأكل الطيب ويتغذى بالطيّب، ويخرج من لسانه أطيب الكلام وأعذبه، فخروج الكلام الحسن الطيب من المؤمن لا يقلّ أهميّة عن خروج العسل الطيب من النحلة، لذا فهو العامل المشترك بين النحل والمؤمن.

هنا يذكر محمد راتب النابلسي مجموعة من المسائل العلمية في النحل ومملكتها، أذكر بعضها:

- يشير المفسّر أن النحلة آية من آيات الله تعالى، لما فيها وفي حياتها من الأمور العجيبة والغريبة، فيتحدث عن الحياة في مملكة النحل؛ فهناك يوجد نظام وقوانين صارمة، وهناك نحلات عاملات، ونحلات منظّفات، ونحلات حارسات ووصيفات، وهناك حارسات للكلمة السرية الخاصة بالخلية، وهناك الخلية والشمع، فيتحدث عن هذه الأمور واحداً تلو الأخرى.
- ويأتي الكلام عن الملكة؛ فلكل مملكة وخلية مَلِكة واحدة فقط، فإذا جاءت مَلِكة أخرى الى هذه الخلية، وادّعت أنها الملكة لهذه الخلية؛ سيكون مصيرها القتل، لأن القيادة يجب أن تكون بيد ملكة واحدة فقط.

والمَلِكة حكيمة جداً، فمن عادتها أنها لا تلدغ الإنسان أبداً، فهي عندها أداتها الدفاعية، فيستخدمها فقط عند الإعتداء على خليتها ومملكتها، ومنافستها

تحقيق: شعيب الأرنؤوط–عادل مرشد–وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ١، ١٤٢١هـ، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص (٦٨٧٢)، ٤٥٧/١١ .

على ملكها وعرشها.

ومهمة الملكة أن تبيض، وهي تبيض يومياً بالمئات، بل بالآلاف، ومن عجائب أمور الملكة في مسألة التبيض؛ أنها إذا جاءت الى الذكور، فهي تبيض الذكور، وإذا جاءا الى الإناث، فهي تنبيض الأنثى، وإذا أتت الى مكان الملِكات، تبيض الملكات، وهذا من اعجب عجائب مملكة النحل، فالملكة تعرف م في بطنها من البيض، فتبيض على حسب بيضاتها الموجودة، وهذا الذي يعجز عنه الإنسان حتى الآن، فالمرأة حتى وإن كانت حاملة لشهادة الدكتوراه في الطب؛ فلا تعرف ما هو موجود في مبيضها، أذكر أم أنثى؟ ويبقى الأمر مجهولاً الى أن تتزوج، وتصبح حاملاً، ويكون حملها حوالي أربعة أشهر؛ حينئذٍ يكشف العلم الجديد والتكنولوجيا الجديدة جنس الجنين، ولكن النحلة الملكة، تعرف ذلك قبل وضع البيض.

- والملكة لها خادمات، وعاملات، ووصيفات، بعضهن تذهب معها الى أماكن الأزهار، فتأخذ غبار الطلع، وتصبّ عليه رحيق الأزهار، وتعجنه، وتقدّمه طعاماً ملكياً نفيساً مفيداً للملكة.
- وأيضاً من الأمور العجيبة التي ذكرها الدكتور النابلسي في مملكة النحل؛ أن هناك حارسات واقفات على أبواب الخلية، فإذا جاءت نحلة أجنبية، تطلبن منها كلمة السر الخاص بهذه الخلية، ولكل خلية من خلايا النحل كلمة السر

الخاص بها، فلو أن الحقول عشرات الآلاف من الخلايا؛ فلا يمكن لنحلة أن تدخل الى غير خليتها، فهذه الأجنبية إذا لم تذكر كلمة السر؛ قتلتها حارسات الخلية على الفور، فهذه الحارسات لا يسمحن لأحد بالدخول الى الخلية، إلا عن طريق ذكر كلمة السر.

- وأيضاً من الأمور الذي ذكره المفسّر؛ أن لكل خلية منظّفات، تقوم على تنظيف الخلية، فلا مكان للقذارة في مملكة النحل، وجزاء القذارة هو القتل؛ فالنحلة إذا رجعت الى خليتها قذرة؛ تقتل عند باب الخلية.

وهذه المنظّفات، إذا عثرن على جسم غريب، أو حشرة أكبر منهن حجماً؛ غلّفنها بمادة شمعية، لكي لا تنشر رائحتها النتنة في الخلية، وتؤثر على الخلية وعلى العسل.

- وهناك نحلات مهمّتهنّ تهوية الخلية فقط، وتجديد الهواء فيها؛ فإذا كان الوقت صيفاً؛ حرّكن أجنحتهنّ من أجل إنشاء تيار يعدّل جوّ الخلية، ويرطّبه، أما إذا كان الفصل شتاءً؛ أغلقن أبواب الخلية بأجنحتهنّ، لكي يبقى جوّ الخلية حاراً أو دافئاً.

- والنحلة بطبعها لا تلدغ إلا من آذاها، وهي تسيح في كل مكان، إذا رأت حيواناً أو بشراً تحاشاه، وليس كالزنابير التي قد تثور لأقل حركة.

- ثم يبدأ المفسّر بذكر الإعجاز العلمي في بناء خلايا النحل؛ فهذه الخلايا

يتخذها النحل بإرشاد وهداية وإلهام من الله تعالى، فتبني بيتها في تجاويف الأشجار، وقمم الجبال وكهوفها، وفي بيوت خاصة يصنعها الإنسان لها.

وفي سبب سداسية شكل الخلية؛ يشير الدكتور النابلسي الى أن جميع الأشكال الهندسية لو ضمّت بعضه الى بعض، يبقى فيما بينها فراغات بينية، إلا الشكل السداسي، فإذا جمعنا بعضه الى بعض؛ صارت قطعة واحدة، ولا يبقى أي فراغ بين الزوايا.

وكل مجموعة من النحلات يقمن ببناء الخلية من طرف، وتجتمع مع أخريات، لتلتقي على بيت نظامي، سداسي الشكل، كما هو معروف في بيت النحل.

- وذكر النابلسي أن الله تعالى قال: (ثم كُلي)، فهذا ترتيب على التراخي، لأن النحل لا يبدأ بالبحث عن رحيق الأزهار، إلا بعد أن يستقرّ في خليته، فبعد إستقراره في بيته وخليته، يبدأ بالبحث عن رحيق الأزهار، ومن الغرائب في هذه المسألة؛ أن النحلة التي تمتص رحيق زهرةٍ؛ تترك أثراً وعلامةً، لكي تعرف النحلة التي تأتي بعدها أن هذه الزهرة امتصت رحيقها، وبهذا لا تضيع الوقت والجهد على أخواتها من النحلات الأخريات.
- وعند قول الله –عز وجل– ﴿فاسلكي سبل ربك ذللاً﴾؛ جاء المفسّر بمثال علميّ، وهي أن الطائرة تحتاج الى أجهزة الإتصال، وبوصلة، ومحطات في

الطريق، وأبراج المراقبة، وخرائط، واجهزة معقدة جداً، فكل هذا لكي يعلم الطيّار –الذي يحمل شهادات عليا– طريقه ذهاباً ورجوعاً، أما هذا المخلوق الصغير الضعيف؛ كيف ترجع الى خليتها إذا غابت الشمس؟ أو إذا ابتعدت عن خليتها عدة كيلومترات؟ كل هذا يتم طريق هداية الله تعالى لها، فالله – سبحانه وتعالى– ذلّل للنحلة طريق العودة، وفي هذه الآية إشارة الى ذلك، بأن الله يطمئن النحلة، أن اذهبي الى حقول الأزهار، وعودي الى خليتك بأمان من الله تعالى.

- وفي موضوع امتصاص رحيق الأزهار؛ ذكر المفسّر مسألة علمية أخرى، وهي أن النحلة تحصل على قطرة واحدة من الرحيق، بعد أن تزور ٥٠٠– ١١٠٠ زهرة، وإذا أرادت أن تحصل على مئة غرام من الرحيق؛ تحتاج الى مليون زهرة.
- ومن أجل الحصول على كيلو غرام واحد من العسل؛ تطير النحلة مسافة تزيد على ٤٠٠ ألف كيلومتر، ومحيط الأرض كلها ٤٠ ألف كيلومتر، أي إننا إذا أردنا أن نحصل على كيلو غرام واحد من العسل؛ فيجب على النحلة أن تطير مسافة عشر دورات كاملة حول الكرة الأرضية عند خط الإستواء.
- وبعد ذلك يبدأ المفسّر بذكر العسل، فيسميه بالصيدلية الكاملة، والعسل الى أن يكون دواء أقرب من أن يكون غذاء، والله –سبحانه– جعل فيه الشفاء.

ويرى محمد النابلسي أن كل لون من ألوان العسل يصلح أن يكون شفاء لنوع من أنواع الأمراض، والعلم مازال قاصراً في معرفة طبيعة كل لون في فعالية الشفاء، وهذا لا يزال رهن البحث.

ويذكر المفسّر الأمراض التي يكون شفاها بالعسل، فهو شفاء لجميع أمراض الجهاز الهضمي، والأمراض المعوية التي سببها الجراثيم والتلوث، فالعسل أداة قاتلة لكل بيئة فيها الجراثيم والبكتريا والفطريات، والعسل شفاء لكثير من الأمراض الجلدية؛ فيستعمل كمرهم جلدي، وهو علاج لأمراض التنفس والرئة والحنجرة، ويعدّ العسل غذاء ضرورياً لمرضى القلب؛ لأنه يغذي عضلات القلب، والعسل علاج لفقر الدم، وأمراض الكبد، ومرضى السكر، مع أنه حلو المذاق، وفيه كميّة سكر عالية جداً؛ إلا أنه لا يزيد مرض السكر خطورة، والعسل علاج للكليتين، وأمراض الجهاز العصبي، لما فيه من المواد المسكنة، وأيضاً هو علاج لأمراض العين، والأمراض النسائية والحمل.

وعند ذكر كل مرض من هذه الامراض؛ يذكرها بشكل علمي، ويقول بأن هذا الكلام كله مأخوذ عن العلماء الأجانب، وهم لا يعرفون الله إطلاقاً، ولم يقرؤوا القرآن أبداً، وإنما توصلوا إليه عن طريق البحث والتحاليل والدراسة والتجارب.

هكذا فسّر الدكتور محمد راتب النابلسي الآية التي فيها ذكر النحل، وهكذا دخل في عمق الآية وذكر الإعجاز العلمي في حياة النحل، وهو يعتبر من

التفاسير القلائل في هذا الأمر، فنادراً نرى مفسّراً يدخل في هذه التفاصيل، حتى المفسرون الذين عرفوا بالتفسير العلمي؛ لا يدخلون هكذا في التفاصيل.

في النهاية: نحن تعرّفنا على عظمة الخالق –سبحانه– بسبب النحلة، فهي آية عظيمة من آيات الله تعالى، ولذلك قال الله في ختام الآية (إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون)، فإذا كانت النحلة آية للتفكر في الأمم السابقة، وهم لا يعرفون شيئاً عنها وعن مملكتها؛ فنحن أولى بالتفكر فيها، لأننا وصلنا الى عالم النحلة صغيرها وكبيرها، وعلمنا العجب العجاب في حياتها ومعيشتها.

٣- النمل.

النمل ينتمي الى فئة الحشرات الإجتماعية، ويتميز بأن له ستة أرجل، ورأسه أكبر من جسمه، وبطنه بيضاوي الشكل، وله فكّان خارجيان يستطيع أن يحمل بهما الأشياء الثقيلة جداً، وأيضاً يستخدم هذين الفكّين للحفر، وله فكّان داخليان يمضغ بهما الطعام، وحجم النمل يتراوح بين مليمترين الى خمسة وعشرون مليمتراً.

والنمل أمة من الأمم في الأرض؛ فهم يبنون المدن، ويشقون الطرقات، ويحفرون الأنفاق والسراديب، ويقومون بتخزين الطعام في المخازن والمستودعات، وبعضهم ينشئون الحدائق، ويزرعون النباتات، وأحياناً بعضهم يشنّون الحرب ضد بعضهم من القبائل والفصائل، هناك أنواع من النمل يبنون بيوتهم على سطح الأرض بواسطة أوراق الأشجار –وهذا النوع أكثرهم موجودون تحت أشجار الصنوبر–، لذلك ذكر الله النمل في القرآن الكريم، لكي ننظر الى معيشتهم ونستفيد منهم لمعيشتنا وحياتنا.

فالنمل ذكر في القرآن، بل سميت سورة باسم النمل، وهذا من جمال القرآن الكريم، حيث توجد سور بأسماء الحيوانات والحشرات، كالبقرة والفيل والنحل، وتوجد سورة كاملة سميت بسورة النمل، وذكر النمل فيها مرتين، وفي آية واحدة؛ قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ

لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[١٦٢].

أعطى الله نبيّه سليمان –عليه السلام– معجزة عظيمة وهي أنه كان يتكلم مع الحيوانات، ويفهم من كلامهم؛ فبينما كان مع جنوده من الجن والإنس والطير، إذ سمع سليمان نملة تحذّر أصحابها من إمكانية أن يطأهم سليمان وجنوده بأقدامهم أو بحوافر خيلهم، فيقتلوهم، لأنهم لا يشعرون بهم، فأمرت أصحابها بأن يدخلوا الى أماكنهم؛ فعندما سمع سليمان كلام النملة؛ تبسم ضاحكاً من قولها، وحمد الله على هذه النعمة العظيمة.

وهذه الواقعة تثبت أن أمة النمل عندهم الشعور والإدراك والوعي والنطق، وهي ما أكدته الدراسات العلمية العالمية في أواخر القرن العشرين[١٦٣].

نأخذ من هذه الآية الكريمة دلالات علمية:

١. أمة النمل لها لغة خاصة بها.

وهذه الحقيقة أثبتها هذه الآية الكريمة، عندما ذكر الله لنا قول النملة لأصحابها: ﴿قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم﴾[١٦٤]، ولقد سمع النبي سليمان –عليه السلام– كلام النملة، وفهمها بنعمة من الله تعالى، واليوم ومع وجود التكنلوجيا الحديثة، وكل هذه التطورات في الأجهزة

---

[١٦٢] النمل: ١٨/٢٧ .

[١٦٣] النجار، زغلول راغب محمد، **من آيات الإعجاز العلمي، الحيوان في القرآن الكريم**، دار المعرفة، بيروت، ط:١، ١٤٢٧هـ، ص: ٥٤ .

[١٦٤] النمل: ١٨/٢٧ .

الموجودة في أيد العلماء؛ إلا أنهم لحد الآن لم يكتشفوا لغة النمل وكلام النمل، مع أنهم يثبتون أن للنمل لغة خاصة بها، ويوجد تخاطب وكلام بينهم، لأنهم التقطوا ذبذبات صوتية مترددة عند تجمع النمل، ولكنهم ما وصلوا الى جهاز يسجل أصواتهم أو يفهم كلامهم.

٢. للنمل قدرٌ من الوعي والشعور والإدراك والذكاء.

وهذه الحقيقة أيضاً أكدتها نفس الآية؛ لأن النملة عرفت شخص نبي الله سليمان –عليه السلام– ومن معه من الجنود، فقالت: ﴿لا يحطمنّكم سليمانُ وجنودُهُ﴾، وعرفت خطورتهم بسبب عدم شعورهم بهم، وأيضاً كأن النملة أدركت أن من صفات المؤمنين الرحمة والرفق بالمخلوقات، وإذا حدث شيء من غير ذلك فهو بغير شعور ولا قصد منهم.

وهذه الحقائق العلمية أكدتها الدراسات المتخصصة في علم سلوك الحيوان، واكتشفوا أن النمل له غرائز فطرية يعطيه قدراً من الإدراك والوعي والذكاء، ويستطيع بذلك أن يعرف الأشخاص والأماكن والأوقات والإتجاهات والأشياء، وهذا يساعده في الوقاية من المخاطر، والحصول على رزقه، وغيرها من الأمور العجيبة في معيشة النمل وحياته المنظمة، التي سنذكرها لاحقاً.

٣. النمل يعيشون في جماعات منظمة.

فهذه الآية الكريمة يعطينا إشارة الى أن النمل يعيشون كجماعات، ﴿حتى إذا أتوا على واد النمل﴾، وثبت علمياً أن النمل يحيا في جماعات يتفاوت عددهم بين بضع عشرات الى عشرات الملايين، ويعيشون في حكم منظم ودقيق، وأمة النمل هي من أكثر الأمم الحية عدداً، وأوسعها انتشاراً، فيوجد اليوم أكثر من ثمانية عشر ألف نوع من النمل في العالم، ولكل نوع من هذه الأنواع بلايين من الأفراد التي تنتشر في جميع انحاء الكرة الأرضية، ما عدا المناطق القطبية، وتزيد انتشار النمل في المناطق الحارة، وهذه الجماعات من النمل تبني ملايين البيوت[١٦٥].

وفي تفسير الآية التي ذكرت فيها قصة النملة مع نبي الله سليمان –عليه السلام–؛ فصّل محمد راتب النابلسي في ذكر أمورٍ من حياة النمل:

- في البداية ذكر الحالة الإجتماعية للنمل؛ فهي حشرة ذات طابع إجتماعي، فإذا انفصلت وعُزلت عن أصحابها وأخواتها؛ سوف تموت بعد فترة قصيرة، حتى لو أُعطيت الغذاء الجيد، والمكان المناسب، وتهيأ لها أحوالاً جيدة، والإنسان له نفس الطبع تماماً؛ فإذا عُزل عن عن البشر، والضوء، والصوت، والحركة؛ بعد أيام تراه مختل التوازن والعقل.

---

[١٦٥] استفدت في هذه المعلومات والحقائق من: النجار، زغلول راغب محمد، **من آيات الإعجاز العلمي، الحيوان في القرآن الكريم**، ص: ٦٧-٧١؛ Debbie Hadley، Fascinating Facts About Ants (**حقائق ممتعة عن النمل**)، ترجمة: إبراهيم عبد الله العلو، نشرت هذه المقالة في موقع: Thoughtco.com، بتاريخ: ٢٠١٧/١٢/٧ .

- النملة لها خاصية التعاون مع بني جلدتها، فالنملة الشبعى إذا رأت نملة جائعة، تعطيها شيئاً من الخلاصات الغذائية الموجودة في جسمها، فالله –سبحانه وتعالى– خلق في جسم النملة جهازاً تستطيع به أن تعطي أخواتها الجائعات طعاماً وغذاءً، وهذا الطبع من النملة عكس طبع الإنسان تماماً، فالإنسان عنده جهاز المص فقط، أي يأكل فقط دون أن يعطي غيره من الطعام الذي أكله، لذا حثّنا النبي –صلى الله عليه وسلم– على مساعدة الآخرين بما نملك من الطعام والشراب، فقال في حديث صحيح: ((ما آمن بي مَن بات شبعاناً، وجاره جائع الى جنبه، وهو يعلم به))[١٦٦]، فالنملة عندها هذا الشعور بالغير، والإنسان يتعلم منها.
- ثم دخل المفسّر في مسألة ذكر معيشة النمل وطبيعة حياتهم؛ فالعلماء رصدوا جوانب كثيرة في حياة النمل ومعيشتهم، وظهر أنهم يعيشون في حياة أغلبها يحتوي على العمل الدؤوب لكسب الأرزاق، وأيضاً عندهم انضباط في الحياة، فوزعوا الوظائف فيما بينهم بدقة عالية.

---

[١٦٦] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، **الأدب المفرد**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط:٣، ١٤٠٩هـ، باب: لا يشبع دون جاره (١١٢)، ص: ٥٢، بلفظ: ((ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع))؛ الطبراني، **المعجم الكبير**، باب الألف (٧٥١)، ٢٥٩/١؛ الحاكم، أبو عبد الله الحاكم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن نعيم الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤١١هـ، كتاب: البر والصلة (٧٣٠٧)، ١٨٤/٤؛ ابن الملقّن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن احمد الشافعي المصري، **مختصر تلخيص الذهبي**، تحقيق: عبد الله بن حمد اللحيدان، سعد بن عبد الله آل حميد، دار العاصمة، الرياض، ط:١، ١٤١١هـ، كتاب: البر والصلة، ٢٧٠٤/٦ .

- مملكة النمل مشابه جداً لمملكة النحل في مسألة وجود الملِكة ووظائفها؛ فللنمل أيضاً ملِكة كبيرة الحجم، ووظيفتها وضع البيض، وتعطي التوجيهات للرعية من النمل، وهي تعيش في قصر آمن داخل مساكن النمل، والملِكة لها اتصال دائم بجميع أفراد مملكتها.
- النمل فيهم جنود وعسكر، وأفراد العسكر حجمهم أكبر من البقية، ولهم رأس كبير وصلب، كان على رأسهم الخوذة العسكرية، ووظيفة هؤلاء العسكر أنهم يحفظون أمن المملكة، ويواجهون العدوان الخارجي لها.
- بعد ذلك يقوم المفسّر بتشبيه بين الوظائف الموجودة عند النمل والوظائف الموجودة عند الإنسان؛ فمثلاً الإناث العاملات من النمل لهنَّ وظائف متنوعة، منها تربية الصغار وتعليمهم، وهذا يشبه قطاع التربية عند الإنسان، فصغير النمل تبقى في البيت، وتقوم بحفر الحجرات، وبناء السرداب، وتكبر في هذه السرداب مع مربيتها، وأيضاً من وظائف العاملات من النمل أنهنّ تنظفن المساكن والممرات، وهذا يشبه قطاع البلديات عند الإنسان، وأيضاً تقومون بسحب الموتى من المساكن وتدفنوهم تحت الأرض خارج القرية، ومن وظائف العاملات أيضاً جلب الطعام من خارج المملكة الى داخلها، وهذا يشبه قطاع المستوردين عند الإنسان، وجماعة أخرى وظيفتهم زراعة الفطريات، وهذا يشبه قطاع

الزراعة، ومجموعة منهم يهتمون بتربية الحشرات التي تعيش النمل على رحيقها، وهذا يشبه قطاع مربي الماشية عند الإنسان.

- النمل له نظام دقيق في المعيشة؛ فله بيوت يعيش فيها، وهذه البيوت مقسّمة الى غرف للمعيشة، وغرف تستعمل كمستودعات ومخازن للأرزاق، وهذه المخازن لها أبواب محكمة، ويحرسها حراس خاص طوال اليوم، وهذه البيوت لها علاقة مع بيوت أخرى تربطهم طرق ومسالك، ويصلون بهذه الطرق الى بعضهم ثم الى سطح الأرض.
- وذكر الدكتور النابلسي أن النمل من الحشرات القليلة التي أودع الله فيها غريزة ادّخار الطعام؛ فهو يحتفظ بالحبوب في مكان رطب دافيء تحت الأرض، بدون أن تصيب التلف هذا الطعام، وتتنوع النمل في طرق الإدّخار؛ فيقطع حبّة القمح نصفين، لكي لا تنبت، ويقوم بقشر البقول، لكي لا تنبت من جديد، وهكذا كل نوع من الأطعمة لها نوع خاص من الإدّخار في مملكة النمل.
- ومن عجائب النمل الذي ذكره الدكتور النابلسي في تفسيره؛ أنه إذا رأى طعاماً مفيداً، وهو لا يستطيع أن يحمله؛ ينشر رائحة حول هذا الطعام، ويأخذ شيئاً منه، ويرجع الى قريته، فإذا رأى نأيّ نمل أعطاه شيئاً من هذا الطعام، لكي يدلّه على مكانه، وبذلك يجتمعون على هذا الطعام،

ويحملونه مع بعضهم، ويجرّونه بجهد وعناء، مع العلم أن النمل له عضلات قويّة جداً قياساً بحجمه، فقوّته توزن وتعادل قوّة المصارعين والرياضيين من الإنسان.

- وفي جهة أخرى يبحث النابلسي في مسألة رجوع النمل الى بيته إذا خرج منه وابتعد، فيذكر أن النمل عندما يخرج من بيته ويبتعد عن قريته؛ ينشر خلفه رائحة معيّنة، ويخلف أيضاً نقاطاً فيها مواد كيميائية، لكي يدلّ الطريق عند رجوعه، وقد قام أحد العلماء بإزالة تلك النقاط في طريق النمل، فما استطاع النمل أن يرجع الى بيته وقريته.
- وأيضاً ذكر المفسّر شيئاً عجيباً عن موت النمل؛ فالنمل إذا مات خرج منه رائحة خاصة، وهذا لكي يعلم جماعته بموته، ويسرعون بدفنه، وقد قام أحد العلماء المختصين بوضع شيء من هذه الرائحة على جسم نملة حيّة؛ سارع باقي النمل الى دفنها، لأن هذه الرائحة عندهم رسالة من هذه النملة أنها ماتت، لكي يدفنوها فوراً.
- النمل له روائح متنوعة؛ كما ذكرنا سابقاً أنه ينشر رائحة معيّنة عند خروجه من بيته وقريته، لكي يعود اليها، وينشر رائحة معيّنة عند موته، ومفاده: تعالوا ادفنوني، وأيضاً له رائحة تحذير واستغاثة؛ فعندما يواجه عدوّاً فهو ينشر رائحة الإستغاثة، لكي يأتي أصحابه لمساعدته في هذه

المواجهة وهذا الخطر، وإذا علم أن الخطر أكبر من طاقة أصحابه من النمل؛ ففي هذه الحالة ينشر رائحة التحذير، فيحذّر أصحابه بأن لا يقتربوا منه وابتعدوا.

- وذكر المفسّر مشابهة بين النمل والإنسان في مسائل الحروب والمعارك، فيقول بأن النمل أقرب الحيوانات والحشرات الى الإنسان في أفعاله؛ فأحياناً تنشب الحروب بين عدة قرى من النمل، فيقومون بتنظيم صفوف الجيش القتالية، وتندلع المعركة، ويقع القتلى والجرحى من الطرفين، والنمل المنتصر يأخذ الأسرى من المهزومين، ليجعلوهم خدماً في قراهم ومساكنهم، ويقومون بتنظيف ساحة المعركة من القتلى، ويدفنون جثثهم تحت الأرض.

- ثم ينقل النابلسي كلاماً منسوباً الى الإمام علي بن أبي طالب– رضي الله عنه– في وصف النمل، فيقول: "ألا تنظرون إلى صغير ما خلق الله كيف أحكم خلقه وأتقن تركيبه، وفلق له السمع والبصر، وسوى له العظم والبشر، أنظروا إلى النملة كيف في صغر جثتها ولطافة هيئتها لا تكاد تنال بلحظ البصر، ولا يستدرك الفكر؛ كيف دبّت على أرضها، وصبّت على رزقها، تنقل الحبّة إلى جحرها، وتعدّها في مستقرها، تجمع في حرّها لبردها، وفي وردها لصدرها، لا يغفلها المنان، ولا يحرمها الديدان، ولو

في الصفا اليابس، والحجر الجامس، ولو فكرت في مجاري أكلها، وفي علوها وسفلها، وما في الجوف من شراشيف بطنها، وما في الرأس من عينها وأذنها؛ لقضيت من خلقها عجباً، ولقيت من وصفها تعباً، فتعالى الذي أقامها على قوائمها، وبناها على دعائمها، لم يشركه في فطرتها فاطر، ولم يعنه على خلقها قادر"[١٦٧].

- وفي النهاية يذكر محمد النابلسي شيئاً عن وصف خلقة النمل؛ فالنملة لها رأس ووسط وذيل أسطواني، ولها جهاز هضمي مدهش، فيه فم ومريء ومعدة وأمعاء، وجهاز مص وضخ، والنملة لها ستة أرجل تجري بها سريعاً، وبعض أنواع النملة لهم أجنحة، وترى النمل بموجات ضوئية لا يراها الإنسان، ولها خمس أعين؛ عينان مركّبتان على جانب الرأس، وتتكون كل عين من مئات الأعين البسيطة، وهي ملتئمة الوضع والترتيب والتركيب، بحيث ترى وكأن لها عين واحدة، والعيون الثلاثة الباقية موضوعة على هيئة مثلث، يعلو العينين المركّبتين، وهي أعين بسيطة لا تركيب فيها[١٦٨].

---

[١٦٧] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله، **ربيع الأبرار ونصوص الأخيار**، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط:١، ١٤١٢هـ، ٥/٤٤٤؛ الأبشيهي، شهاب الدين بن محمد، **المستطرف في كل فن مستظرف**، عالم الكتب، بيروت، ط:١، ١٤١٩هـ، ص: ٣٧١؛ الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى، **نهج البلاغة**، دار الكتاب المصري، القاهرة–دارالكتاب اللبناني، بيروت، ط:٤، ١٤٢٥هـ، ص: ٢٧٠.

[١٦٨] النابلسي، **تفسير النابلسي**، ٨/٤٨٠–٤٨٣ .

الخاتمة وذكر أهم النتائج:

وفي الختام بذلت قصارى جهدي لكي أكتب بحثاً علمياً عن التفسير العلمي في تفسير محمد راتب النابلسي، إن كان فيه شيء من الصواب فمن الله تعالى، وإن كان فيه أخطاء فمني ومن الشيطان.

وفي النهاية أسجل أهم ما توصلت إليه من النتائج من خلال هذا البحث، وهي:

- التفسير العلمي كمصطلح؛ يعتبر مصطلحاً حديثاً، ولكن كنوع من أنواع التفسير؛ نجد أن المفسرين القدامى قد فسروا الآيات القرآنية بهذا اللون من التفسير، ولكن ما سمّوه بالتفسير العلمي.
- العلماء لهم تعريفات مختلفة للتفسير العلمي؛ ولكنني ومن خلال تعريفات العلماء، قلت في تعريف التفسير العلمي: هو استعمال الحقائق العلمية الثابتة والمستقرة في زيادة شرح وإيضاح معاني الآيات، وبيان الاشارات القرآنية التي تشير الى عظيم خلق الله تعالى، بأدلة تفيد القطع واليقين باتفاق المتخصصين، إثباتاً لصدق النبي –صلى الله عليه وسلم– لغير المسلمين، وزيادة لإيمان المؤمنين.

أو باختصار هو: تفسير القرآن الكريم بحقائق العلم التجريبي.

- التفسير العلمي يعود تاريخه الى القرن الرابع عشر، حيث ظهر هذا النوع من التفسير كمصطلح، ولكن كلون من التفسير فهو أقدم من هذا التاريخ، فالعلماء

قديماً فسروا الآيات القرآنية تفسيراً علمياً بشكل من الأشكال، ولكن أول الأمر كان عبارة عن محاولات للتوفيق بين الآيات القرآن وما جدّ من العلوم.

- أول من فسّر القرآن تفسيراً علمياً هو الإمام الغزالي في (إحياء علوم الدين) و (جواهر القرآن)، ثم بعد ذلك يأتي الإمام الرازي في المرتبة الثانية في تفسيره (مفاتيح الغيب)، وهما لم يؤلفا كتباً خاصة في التفسير العلمي، ولكن أشاروا الى مسائل علمية في كتبهم، ثم بعد ذلك ظهر كتب مستقلة في التفسير العلمي.
- العلماء منذ القرون الأولى اختلفوا في تفسير القرآن تفسيراً علمياً، وانقسموا الى مؤيدين ومعارضين، وكلا الفريقين لهم أدلتهم تأييداً لكلامهم وآراءهم.
- أبرز المؤيدين للتفسير العلمي: الغزالي، الرازي، النيسابوري، البيضاوي، الزركشي، السيوطي، ومن المعاصرين: الآلوسي، ومحمد عبده، ومحمد رشيد رضا، والرافعي، وطنطاوي جوهري.
- أبرز المعارضين للتفسير العلمي: أبو حيان، والشاطبي، ومن المعاصرين: محمود شلتوت، وأمين الخولي، ومحمد حسين الذهبي، وصبحي الصالح، وشوقي ضيف، وسيد قطب.
- والراجح بين آراء الفريقين –والله أعلم–: أن هذا النوع من التفسير يكون محموداً؛ حين يصدر عن علم ولا يتعارض مع القرآن والسنة، ويكون صاحبه

عالماً باللغة العربية وأصول الشريعة الإسلامية، وعاملاً بضوابط قبول التفسير العلمي.

ويكون مذموماً ومردوداً؛ حين يصدر عن جهل أو هوى، ولا يلتزم صاحبه بضوابط قبول التفسير العلمي.

- محمد راتب النابلسي مؤلف وداعية ومفسّر عصري، ألّف أربعة وعشرين كتاباً، ومن ضمنهم تفسير النابلسي –الذي نحن بصدده–.
- ويعتبر من أبرز المفسرين الذين فسّروا القرآن الكريم تفيسراً علمياً.
- له منهجه الخاص في الدعوة والتأليف والتفسير.
- هذا التفسير كان عبارة عن محاضرات، ألقاها النابلسي منذ سنة ١٩٧٠م، ٢٠١٠م، أي استغرق التفسير كاملاً حوالي أربعون عاماً.
- يتميز تفسير النابلسي بالمسائل العلمية، والإسقاطات الواقعية، والإكثار من ذكر القصص والأمثلة والأدلة العقلية.
- اعتمد المفسّر في تفسيره على أمهات الكتب لأئمة التفسير مثل: الطبري، والقرطبي، والرازي، وابن كثير، وغيرهم من الأئمة.
- استفاد النابلسي في تفسيره للآيات التي يتحدث عن المسائل العلمية؛ على تفاسير لمفسرين معاصرين، مثل: القاسمي، وطنطاوي جوهري، والشعراوي، واستفاد أيضاً من الكتب والموسوعات والمجلات والمواقع العلمية.

- النابلسي فصّل كثيراً في تفسير الآيات الكونية التي تتحدث عن الأرض والسماء، والبحار والأنهار، والآيات التي تتحدث عن الظوهر الكونية مثل الزلازل والكسوف والخسوف والحقائق الكونية.
- وفصّل أيضاً في تفسير الآيات التي تتحدث عن الإنسان، وخلق الإنسان، والآيات التي تتحدث عن الحيوانات، والإعجاز العلمي في خلق بعض الحيوانات.

المراجع والمصادر:

القرآن الكريم

- الأبشيهي، شهاب الدين بن محمد، **المستطرف في كل فن مستظرف**، عالم الكتب، بيروت، ط:١، ١٤١٩هـ.
- أبكر، آدم عبد بنات، **الكوارث الطبيعية في القرآن الكريم**، مجلة الجزيرة للعلوم التربوية والإنسانية، الخرطوم، السودان، مجلد: ١٣، العدد: ١، ١٤٣٧هـ.
- ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس التميمي الحنظلي الرازي، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، ط: ٣، ١٤١٩هـ.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج بن محمد الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
- ابن الملقّن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن احمد الشافعي المصري، **مختصر تلخيص الذهبي**، تحقيق: عبد الله بن حمد اللحيدان، سعد بن عبد الله آل حميد، دار العاصمة، الرياض، ط:١، ١٤١١هـ.
- ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي الدارمي البستي،

الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ١، ١٤٠٨هـ.

- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي الظاهري، **المحلى بالآثار**، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤٢٥هـ.
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق، سوريا، ط: ٣، ١٩٧٩م.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الرياض، ط: ٢، ١٩٩٩م.
- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، **سنن ابن ماجه**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي – عَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، بيروت، ط:١، ١٤٣٠هـ.
- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي جمال الدين الأنصاري الرويفعي، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

- أبو حيان، أبو أثير الدين محمد بن يوسف بن علي ين يوسف بن حيان الأندلسي، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط:١، ١٤٢٠هـ، ٥٤٧/١ .
- أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤٠٩هـ.
- أحمد، يوسف الحاج، **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهّرة**، مكتبة ابن حجر، دمشق، ط:٢، ١٤٢٤هـ.
- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد الهروي، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- الإشبيلي، عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الأندلسي الملقب بابن الخراط، **الأحكام الشرعية الصغرى**، تحقيق: أم محمد بنت أحمد الهليس، مكتبة العلم، جدة، ط:١، ١٤١٣هـ.
- الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط–عادل مرشد–وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ١، ١٤٢١هـ.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي، **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، جدة، ط:١، ١٤٢٢هـ.

- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيلبن إبراهيم بن المغيرة، **الأدب المفرد**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط:٣، ١٤٠٩هـ.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي الشافعي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ١، ١٤٢٠هـ.
- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط:١، ١٤٠٤هـ.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر–محمد فؤاد عبد الباقي–إبراهيم عطوة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط: ٢، ١٣٩٥هـ.
- الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ١، ١٤٢٢هـ.
- الحاكم، أبو عبد الله الحاكم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن نعيم الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١،

١٤١١هـ.

- حسين، محمد كامل، **الذكر الحكيم من وجهة نظر عصرية**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط:١، ١٣٩١هـ.
- الخازن، أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٤١٥هـ.
- الخالدي، صلاح عبد الفتاح الخالدي، **تعريف الدارسين بمناهج المفسرين**، دار القلم، دمشق، ط: ٣، ١٤٢٩هـ.
- الخولي، أمين، **التفسير معالم حياته ومنهجه اليوم**، جماعة الكتاب، القاهرة، ط:١، ١٣٦٣هـ.
- الخولي، أمين، **مناهج تجديد**، دار المعرفة، بيروت، ط: ١، ١٣٨١هـ.
- أحمد مختار عبد الحميد عمر، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، عالم الكتب، القاهرة، ط: ١، ١٤٢٩هـ.
- علي محمد عبد الله، **البحار والمحيطات أسرار وكنوز في الأعماق**، وكالة الصحافة العربية، مصر، الجيزة، ط١، ٢٠١٣م.
- محمد صبري-محمد إبراهيم، **الأخطار والكوارث الطبيعية**، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط: ١، ١٤١٩هـ، ص: ٣٧ .

- الذهبي، محمد حسين الذهبي، **التفسير والمفسرون**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط: ٧، ١٤٢١هـ.
- الرازي، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن التيمي، **مفاتيح الغيب**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ٣، ١٤٢٠هـ.
- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: د.يوسف المرعشلي–جمال الذهبي–إبراهيم الكردي، دار المعرفة، بيروت، ط: ١، ١٤١٠هـ.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله، **ربيع الأبرار ونصوص الأخيار**، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط:١، ١٤١٢هـ.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط:١، ١٣٩٤هـ.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، دار الفكر، بيروت، ط: ١، ١٤٣٢–١٤٣٣هـ.
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، **الموافقات**، تحقيق:

أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، القاهرة، ط:١، ١٤١٧هـ.

- شحاتة، حسن أحمد، **معجزات السماء من آيات الله في الكون**، الأكاديمية العلمية للكتاب الجامعي، القاهرة، ط١، ٢٠١٤م.
- الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى، **نهج البلاغة**، دار الكتاب المصري، القاهرة–دارالكتاب اللبناني، بيروت، ط:٤، ١٤٢٥هـ.
- الشعراوي، محمد متولي، **خواطر وتفسير الشعراوي**، دار أخبار اليوم، القاهرة، ط:١، ١٤١١هـ.
- شلتوت، محمود محمد، **تفسير القرآن الكريم الأجزاء العشرة الأولى**، دار الشروق، القاهرة، ط:١٢، ١٤٢٤هـ.
- الصالح، صبحي بن إبراهيم، **معالم الشريعة الإسلامية**، دار العلم للملايين، بيروت، ط:٤، ١٤٠٢هـ.
- الصوفي، ماهر أحمد، **آيات الله في الرياح والمطر والأعاصير والبراكين والزلازل**، المكتبة العصرية، بيروت، ط: ١، ١٤٢٨هـ.
- الصوفي، ماهر أحمد، **آيات الله في خلق الإنسان وبعثه وحسابه**، المكتبة العصرية، بيروت، ط:١، ١٤٢٨هـ.
- الصوفي، ماهر أحمد، **آيات الله في في خلق الحيوانات البرية والبحرية**

وبعثها وحسابها، المكتبة العصرية، بيروت، ط:١، ١٤٢٨هـ.

- الصوفي، ماهر أحمد، **آيات الله في ممالك الطير والنحل والنمل والحشرات**، المكتبة العصرية، بيروت، ط:١، ١٤٢٨هـ.
- ضيف، أحمد شوقي عبد السلام، **الوجيز في تفسير القرآن الكريم**، دار المعارف، القاهرة، ط:٢، ١٤١٥هـ.
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط:٢، ١٤١٥هـ.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الأملي، **جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ١، ٢٠٠٠م.
- العك، خالد عبد الرحمن، **أصول التفسير وقواعده**، دار النفائس، بيروت، ط: ٢، ١٤٠٦هـ.
- الغزالي، أبو حامد زين الدين محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي الشافعي، **إحياء علوم الدين**، دار المنهاج، جدة، ط: ١، ١٤٣٢هـ.
- الغزالي، **جواهر القرآن**، تحقيق: محمد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم، بيروت، ط: ٢، ١٤٠٦هـ.

- الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، **تنوير المقباس من تفسير ابن عباس**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٤١٢هـ.
- القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤١٨هـ.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الانصاري الخزرجي، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني و إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م.
- قطب، سيد إبراهيم حسين الشاذلي، **في ظلال القرآن**، دار الأصول العلمية، أسطنبول، ط:١، ١٤٤٠هـ.
- الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود، **تأويلات أهل السنة**، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
- متولي، أحمد مصطفى، **الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية**، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط:١، ١٤٢٦هـ.
- مسلم، أبو الحسن القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، د.ت.
- المكي، أبو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي، **قوت القلوب في**

معاملة المحبوب ووصف طريق المريد الى مقام التوحيد، تحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ٢، ١٤٢٦هـ.

- الملا علي القاري، نور الدين علي بن سلطان الهروي المكي الحنفي، **أنوار القرآن وأسرار الفرقان**، تحقيق: ناجي السويد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٣م.
- المنذري، أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي، **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف**، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤١٧هـ.
- النابلسي، محمد راتب، **تدبّر آيات الله في النفس والكون والحياة (تفسير النابلسي)**، مؤسسة الفرسان، عمّان، ط:١، ١٤٣٨هـ.
- النابلسي، محمد راتب، موسوعة **الإعجاز العلمي في القرآن والسنة آيات الله في الآفاق**، دار المكتبي، دمشق، ط: ٢، ٢٠٠٥م.
- النابلسي، محمد راتب، **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة آيات الله في الإنسان**، دار المكتبي، دمشق، ط: ٢، ٢٠٠٥م.
- النجار، زغلول راغب محمد، **من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم**، تحقيق: أحمد فرّاج، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط:١٣، ١٤٢٩هـ
- النجار، زغلول راغب محمد، **من آيات الإعجاز العلمي، الحيوان في القرآن**

الكريم، دار المعرفة، بيروت، ط:١، ١٤٢٧هـ.

- نوفل، عبد الرزاق، **الله والعلم الحديث**، دار الشروق، القاهرة، ط١، د.ت .
- الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، د.ط، ١٤١٤هـ.
- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد النيسابوري الشافعي، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض-أحمد محمد صيرة-أحمد عبد الغني الجمل-عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٤١٥هـ.
- Debbie Hadley، Fascinating Facts About Ants (حقائق ممتعة عن النمل)، ترجمة: إبراهيم عبد الله العلو، نشرت هذه المقالة في موقع: Thoughtco.com، بتاريخ: ٢٠١٧/١٢/٧ .

السيرة الذاتية

محمد شوكت سليمان، ولدتُ سنة (١٩٨٦) في محافظة أربيل شمال العراق، بدأت بالدراسة في المرحلة الإبتدائية في المدارس الأكاديمية التابعة لوزارة التربية، وبعد ذلك إلتحقتُ بالمدارس الإسلامية، وأول مشواري كان في مدرسة الشهيد ملا عبد الله البلبيتاني –رحمه الله– في أربيل، وأكملتُ فيها مرحلتي المتوسطة والإعدادية سنة (٢٠٠٥)، وحينئذ عيّنتُ كإمام في جامع أبي بكر الصديق في أربيل.

بعد ذلك تم قبولي في جامعة صلاح الدين، كلية العلوم الإسلامية في أربيل سنة (٢٠٠٦)، وحصلتُ على شهادة البكلوريوس في أصول الدين سنة (٢٠١٠) بتقدير جيّد جداً وبمعدل (٨٤,٥).

وفي سنة (٢٠٠٨) أخذتُ الإجازة العلمية في العلوم الشرعية عند الشيخ عبد الرحمن حَمَد ماستاوه يى –رحمه الله تعالى–، وارتقيتُ إلى مرتبة إمام وخطيب، وإلى الآن مستمر في الإمامة والخطابة في جامع أبي بكر الصديق في أربيل.

وبعد ذلك توجهت الى تركيا لتكملة مراحل دراسات العليا، فتم قبولي لدراسة الماجستير في جامعة فرات، كلية الإلهيات.

وبالله التوفيق، والحمد لله ربّ العالمين.